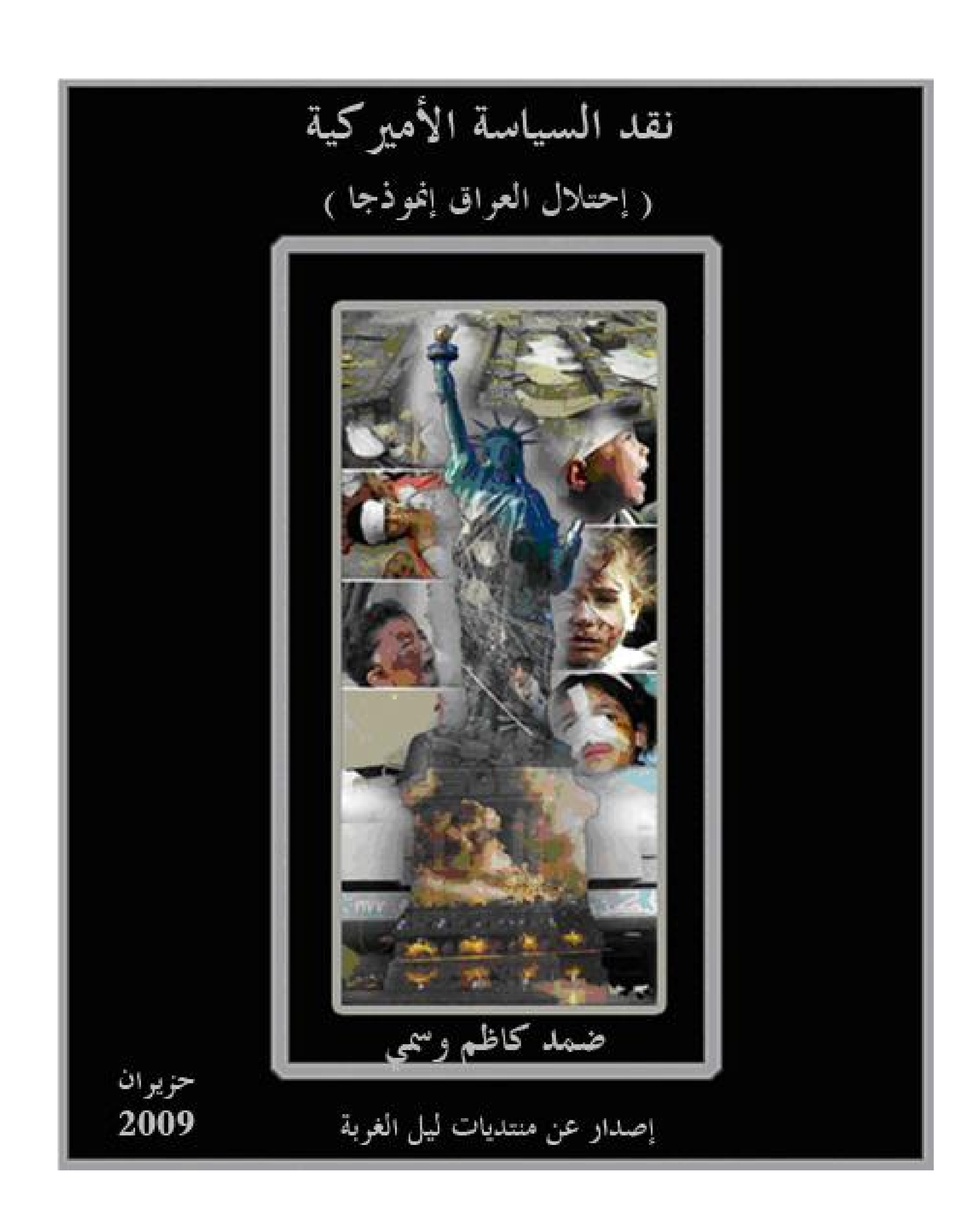

نقد السياسة الأميركية
(إحتلال العراق إنموذجا)
ضمد كاظم وسمي
حزيران
2009
إصدار عن منتديات ليل الغربة

الاهداء

الى الوالد العزيز حفظه الله

الشيخ

كاظم الوسمي الزهيري

أُهدي هذا الكتاب .

ضمد كاظم وسمي

المقدمة

اذا كانت الحداثة تعني فيما تعنيه الاخــذ بالتقنيــات الحديثــة وقمتها التطور الكبير في مجالي الاتصلات والمعلوماتية ، وما يلزم ذلك من اكتساب الخبرات المنهجية والتكيف على وفــق سلوكيات لا محيص عنها ، فان خدين الحداثة .. هو الهيمنــة الغربية او الامريكية اذا اردنا الدقة .. لان الغرب ما فتيء يجر اذيال التراجع من الساحة الدولية ليدخل في جوقــة الاذنــاب التابعين الى الولايات المتحدة الامريكيــة .. حتــى اصــبحت العولمة والتي تقودها امريكا نظاما للهيمنة على العالم . فمن وجهة نظر اوربا فإن العولمة هي نظام لأمركة الغرب اما من وجهة نظر الشرق فان العولمة معناها تغريب تام وتبعية كاملة للولايات المتحدة الامريكية .. وبما يخدم مصالح الــصهيونية العالمية .. لان العولمة (الهيمنة) ليست مشروعا محايــدا . ولا هو يقصر نضاله الشرس على الجانب الاقتصادي ، بل هي مشروع شمولي ذو ابعاد ايديولوجية يحتل الجانــب الثقــافي دورا خطرا فيها .

ان اساطين الهيمنة الايديولوجية الجديدة يعتقدون ان مفتــاح هيمنتهم يبدأ من تــدمير الخــصوصية (الهويــة الثقافيــة) للشعوب ، بدعوى ان هذه الخــصوصية متخلفــة لا تجــاري الطفرة الحضارية التي شهدتها امريكا ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد (ذهب فرانسيس فوكاياما الى حتميــة ســيادة الحضارة الامريكية وهيمنتها في كــل المجــالات ويــرى ان الحضارة الامريكية قد وصلت الى اعلى مستوى للرقي والتقدم الذي يمكن ان يبلغه الانسان في أي زمان ومكان وان الانسان الغربي صانع هذه الحضارة هو في ارقى واعلى سلالة بشرية يمكن ان تخرج الى الوجود ، انه خاتم البشرية) .

ان هذه النظرة المشبعة بالغطرسة وتضخم الذات .. هــي ذات النظرة التي تقزم الاخر (العالم الثالــث) وتــسمه بالــصغار والتحقير .. فانها تشير الى حتمية انتــصار القــيم الفكريــة والسلوكية للمجتمع الامريكي .. وتقرر حتمية تبعية الاخــر (العالم) لها .. تلك القيم التي تقود الى التحلل الاخلاقي وتفكك الاسرة .. وجنوح الاطفال واستــشراء الجريمــة والارهــاب وانتشار تعاطي المخدرات .... وتفشي الطــابع المــادي فــي المجتمع وتلاشي البعد الروحي للحياة .. فاذا علمنا ان الشرق يزداد فقرا وتهميشا بالضد من الغرب الذي يزداد قوة وثراء ..

فان استشراء تلك القيم والسلوكيات الامريكية وفرضها علـــى الشرق سيقود الى تكريس تهميشه وتبعيته واغترابـــه الامـــر الذي يفضي الى استلابه ثقافيا .. ولعل في سبيل تنفيذ امريكا لاهدافها هذه .. لا تقتصر على قدراتها الاعلامية على اهميتها ، بل قد تلجا الى الاقتصاد او السياسة كوسائل ضغط وابتـــزاز .. حتى اذا ما استنفدت تلك الوسائل صـــارت الـــى الحـــرب العسكرية كوسيلة احتلال واستباحة وهذا ما حصل فعـــلا !!! . وهي ذا تفعل ذلك فانها تهدف الى تعميم انموذجهـــا العـــولمي للسلوك والمدنية .

ان الانموذج الامريكي يدعو الى التعددية ويرفع يافطة حقـــوق الانسان من جهة .. ومن جهة اخرى يشهر حربا شعواء على أي تمرد على الاسلوب المادي العلماني في الحياة ويمنع كـــل من يريد ان يكون حرا او يساهم بطريقته الخاصة في تقريـــر مصير نفسه او مصير العالم .. ولعل مما يساعد على فتل حبل العولمة الامريكية .. ان امريكا تنصب حبالها لاصطياد بلـــدان تدير دفتها انظمة استبدادية ظلامية طالمـــا حلمـــت شـــعوبها بالخلاص منها .. كالذي حصل في افغانستان والعراق .. الامر الذي غرر بقوى ترفع شعارات الحرية وحقـــوق الانـــسان .. فصارت تدربك مغمضة العينين خلف امريكا حـــسنة الظنـــون

بنواياها ــ او هكذا تمني نفسها ــ ولكن بعد لأي من الوقت ستجد نفسها وقد لفظتها امريكا في مصيدة المغفلين لتكتوي في اتون فتنة ليس لأحد يدعى انه سيكون بمنأي عن مخاطرها ..

ان الانموذج الامريكي هو انموذج القوة التدميرية انموذج الدبابة التي تهدم انموذج المدفع الرشاش الذي يحصد الارواح وهو الانموذج نفسه الذي استباح المدن وفتك بالقرى وهو الانموذج نفسه الذي جزأ الشعب العراقي بالمحاصصة وحل كيانات الدولة والجيش وطرد موظفين اكفاء من وظائفهم لاسباب سياسية الامر الذي يتعارض مع اعلان حقوق الانسان الذي تتشدق به امريكا .

الانموذج الامريكي .. انه هو من دعم وتحالف مع الانظمة العربية القبلية والرجعية والشمولية وزودها بكل الامكانيات والخبرات العسكرية والامنية لا لشيء سوى تمكينها من ترويض الشعوب العربية وقمع ارادتها وتدجينها كقطيع الغنم وهذا النموذج هو نفسه من صنع اسرائيل ومكن لها ان تكون شرطي المنطقة بأسرها ' لابل ان هذا النموذج هو من طبل لما عرف بالصحوة الاسلامية ، واقدم بالتعاون مع جهات رسمية عربية واسلامية على صناعة الموت في المنطقة

بإحياء وإعادة انتاج ما عرف بالمــذهب التكفيــري وجناحــه العسكري (القاعدة) لاستخدامه كحصان طــروادة لمواجهــة المد الماركسي .. وتطويق الانظمة التقدمية وتشويه نهجهــا واعضال غاياتها .. ثم لتطويق الثورة الايرانيــة .. واخيــرا لافراغ الروح الاسلامية من مقاصدها الانسانية النبيلة .

لكن العجب كل العجب ممن يرون في احتلال امريكا للعراق تحريرا ، فهل يعني التحرير مصادرة ارادة امة وخــراب بلــد وقتل وتهجير وانعدام الخدمات واستشراء الطائفية وتقسيم بلد وحل كيانات دولة واستفحال البطالة وشيوع الجريمة وخلــق طبقة سياسية مترفة على حساب شعب يئن من سياط الجــوع .. هذه بكل بساطة نتائج السياسة الامريكية في العراق .

الفصل الاول
الاصول الفكرية للسياسة الامريكية

قد يجد كثير من محللي السياسة الامريكية صعوبة في فهم مغازي هذه السياسة ويتعذر عليهم وضع اهدافها في خانة العقلنة نظرا لما ينتاب هذه السياسة من ضبابية فجة ، لذلك ترى اقرب اصدقاء امريكا اليها في المنطقة من انظمة الحكم في حيرة من امرهم في تقييم السياسة الامريكية وفهمها وبالتالي لايملكون في التعاطي مع هذه السياسة الا الاستخذاء امام جبروتها والانخراط في اجندتها الاخطبوطية .. دون ان يكلف نفسه هذا البعض من الحكام او المفكرين العرب في البحث عن كنه السياسة الامريكية وفلسفتها وبالتالي التعرف على جذورها الفكرية الغربية ..

ان الحضارة الغربية وبضمنها الحضارة الامريكية هي صنيعة الفكر الغربي والذي بدوره وبشكل عام يمكن ان يقسم الى تيارين رئيسين هما 1- الفكر التنويري الذي افرز عصر الانوار وانجز الثورة الفرنسية ونشر الحداثة بوجهها الانساني واطرها العلمية التي انتجت التقنيات التكنولوجية ، وسياقاتها

السياسية التي ادت الى قيام نظم ديمقراطيـــة تحمـــي حقـــوق الانسان وتعترف بالاخر . وكان معقل هذا الفكر بلاد فرنسا.

2- الفكر الرومانتيكي / النيتشوي .. وهو فكر معاد للتنـــوير يرفض العقل الانساني وفعاليته .. وبدلا مـــن العقـــل تطـــرح الرومانتيكية فكرة الخيـــال والحـــدس ، والعقـــل الجمعـــي ، والماضي المشترك ، والجماعة العضوية . وقد انتج هذا الفكر النازية والصهيونية والبراغماتيـــة الامريكيـــة التـــي تـــتلمس السياسة الامريكية اليوم طريقها على هدى هذا الفكر .

ومن اهم السمات الاساسية لهذا الفكر هي عقلانية الوسائل و لا عقلانية الاهداف .. كل شيء يتم بشكل مؤسس منظم - أي يجب ان يتم بحياد علمي رهيب – اما الاهداف فهي خالية من أي مضمون اخلاقي ايجـــابي .. لان ذلـــك يتـــرك للـــزعيم (السوبرمان) او للدولة بل وحتى للاسطورة الدينية العرقيـــة ، ان هذا التناقض القائم على التزاوج بين العقلانية واللاعقلانية ناجم عن انفصال النزعة الامبريقية عـــن النزعـــة العقليـــة (فالتجريب لا يؤدي بالضرورة الـــى انتـــصار العقـــل والقـــيم الانسانية) . فـــالفكر النـــازي والفكـــر الـــصهيوني والفكـــر البراغماتي الامريكي كلها تنتمي الى الفكر الرومانتيكي الامـــر الذي يشي بالتشابه البنيوي بين هذه الفكار .. بالاضافة الـــى

انتهالها من مصادر فكرية مشتركة (اساطير العهد القديم والتلمود وتحويلها من اساطير دينية الى عقائد سياسية – الفكر الامبريالي – النظريات العرقية والاثنية) .
ان الفكر الرومانتيكي الذي انتج فكرة ((الفولك)) او السوبرمان او السوبر امة .. وتوامه الفكر الصهيوني الذي يرفع شعار ((شعب الله المختار)) و الذي انتج اسرائيل .. والفكر الامريكي الذي انتج فكرة ((الانسان الامريكي خاتم الحضارة و الانسانية)) .. تلتقي كل هذه الافكار في الانطلاق من كونها افكار جماعة – امة – لها تاريخ خاص ومتميز وتراث حضاري لايجارى – وان علاقتها بالاخر هي علاقة الاعلى والانقى والاعلم والافضل بالادنى والادنس والاجهل والابخس .. بل تتمادى لتذهب الى ان علاقة الانسان السياسية ب ((الفولك ــ الماشيح العسكري ــ خاتم الحضارة -)) هي شيء يعلو على الارادة والوعي الفرديين .. رغم ان عقائد الانسان السياسية هي من اختياره !!! .
لقد كان فيلسوف الفكر الرومانتيكي ((نيتشة)) اماما للنازية والصهيونية والبراغماتية الامريكية .. وتعد فلسفته من اهم المذاهب (الامبريالية) ، ويلخص الصهيوني احاد هعام فلسفة نيتشة بقوله : ((من واجب الانسان ان يطور كل قدراته التي

منحتها اياه الطبيعة دون توقف ، الى ان يحقق كل امكانياته ، شانه في هذا شان كل المخلوقات الاخرى حتـــى يـــصل الـــى الذروة المتاحة له ، ولم يتم هذا الا من خلال (الصراع مـــن اجل البقاء) – صراع يفوز به القوي ، وحسب هذا التـــصوير الداروينى تمثل القوانين خطأ اعظم وعقبه كأداء)) . فنيتـــشه يقرر ان الرجل الخيّر هو الرجل القوي الذي يحاول ان يكـــون سيد عالمه دونما شفقة على الاخـــرين .. وان مـــدى رقـــي الحضارة لايقاس بمدى سعادة الافراد وانما هو النمـــو الحـــر لفردية المختارين من البشر وارتفاع النموذج الفذ الى مستوى اعلى من عامة الناس .. وهـــذه الاطروحـــة مطابقـــة تمامـــا للاطروحة الصهيونية الماخوذة من التلمود فالرجل التقي فـــي التلمود هو رجل ((لم يخلق من اجل الاخرين ، بل ان العـــالم كله قد خلق من اجله)) .. وهي ذات الاطروحة التي تـــؤمن بها النخب الفكرية الامريكية .. حيث ذهب فرانسيس فوكوياما احد اكبر منظري السياسة الامريكية الى حتمية سيادة الحضارة الامريكية في العالم وهيمنتها على امكانياته لانها بلغت اقصى درجات الرقي والتقدم .. وان الانسان الامريكي صـــانع هـــذه الحضارة يعد اعلى سلالة بشرية وارقى عرق انسني يمكن ان تخرج الى الوجود ، وان الانسان الامريكي الحضاري هو خاتم

البشرية . ان المتتبع لتطور هذه الافكار والاطاريح يلاحـــظ ان التشابه بينها يثير الدهشة حقا .. فهذه الاطاريح تعادي الفكـــر العقلي الحر وتحتقره وتقدس الفعل كمـــا ان هـــذه الاطـــاريح ملحدة او لاهوت بلا اله فضلا عن انها تدين بالمبدأ الداروينى القائم على قانون التطور و البقاء للاقـــوى .. كمـــا و تـــدعو الانسان الى ان يعيش في خطر و حرب دائمين وتعتقـــد بـــان منطقها قار و مطلق ، فالصهاينة واليمين الامريكي مشغولون بتصوراتهم المثالية الماشيحانية عن الدولة و الشعب المختار والعالم الذي يجب ان يكون خادما وضحية لهمـــا !! وتاكيـــدا لالحادية هذه الاطاريح ولا هوتيتها في الوقت نفسه .. فاننـــا نرى ان بن غوريون لم يؤمن يوما بـــالتوراة بـــصفته كتابـــا مقدسا كونه ملحدا .. لكنه مع ذلك فانه يعترف بالتوراة ككتاب فلكلوري شعبي .. كما تسيطر فكرة الماشيح العسكري المنقد (بن غوريون . الفوهرر . خـــاتم البـــشرية) علـــى الوجـــدان الصهيوني سيطرتها على الوجدان الالماني .. ولعل في قـــول هتلر ما يوضح التلاقي بين الفكر النازي والفكر الصهيوني .. ذلك وقد سئل عن سبب معاداته لليهود فاجاب بايجاز وقسوة : ((لايمكن ان يكون هناك شعبان مختاران . نحن وحدنا شعب الله المختار)) .. وهو نفس الهاجس الذي يغـــشى الوجـــدان

الامريكي . وبعد زوال النازية وتحولها الى اثر بعد عين .. لم يبقى الا الاطروحتان الصهيونية والامريكية واللتان تتجسدان في السياستين الصهيونية الاسرائيلية والامبريالية الامريكية ، وتتشابهان حد التطابق احيانا لانهما تنبعان من معين واحد ، قال موشي ديان في اب 1967 : ((اذا كنا نملك التوراة ، واذا كنا نعتبر انفسنا شعب التوراة ، فيجب ان يكون لنا ايضا ارض التوراة)) .. واستنادا الى تلك الاساطير تصبح حدود اسرائيل مطاطية غير ثابتة ، يقول بن غوريون في مذكراته : ((امامكم الاعلان الامريكي للاستقلال . ليس به أي ذكر لحدود ارضية . ولسنا ملزمين بتعيين حدود للدولة)) . ومن الجدير بالذكر ان حدود امريكا ظلّت غير ثابتة لاكثر من قرن من الزمان .. وما زالت تتغير وتتحرك كلما تقدم الامريكان في قتل الهنود الحمر واستعمار ارضهم حتى اجتثوهم من جديد الارض ولم يتوقفوا الا عند المحيط . ولعل بن غوريون اراد ان يجد في تلك السابقة الامريكية ما يغري باتخاذها مثلا يحتذى .. لذلك لم تحترم اسرائيل قرار التقسيم الذي اصدرته الامم المتحدة عام 1947 .. اذ استولى الارهابيون الصهاينة على ارض كانت للعرب وفقا للتقسيم مثل يافا و عكا .. ثم جاءت حرب 1948 وانشاء دولة اسرائيل على حساب قتل العرب

وتهجيرهم وسلب اراضيهم واستمرت اسرائيل في التوسع والعدوان على حساب العرب حتى يوم الناس هذا !! .. فامريكا التي طالما حمت اسرائيل بواسطة حق النقض ((الفيتو)) من اية عقوبة حقيقية قد تعوق عملها ، وتقدم لها احدث الاسلحة ، وانها تدفع اكثر من ثلث نفقات التسلح الاسرائيلية .. وتمدها بالتجهيزات العسكرية والسلاح و المال والدعم السياسي .. هي التي امدت اسرائيل باسلحة التدمير الشامل لبسط نفوذها على المنطقة ونهب ثرواتها . ان السياسة الصهيونية الاسرائيلية مطابقة تماما لاهداف الولايات المتحدة الامريكية العالمية ، ولها دور فيها لايمكن لغيرها ان يؤديه .. بحيث ان اسرائيل على ثقة .. بان السياسة الامريكية ستكون وفقا للتوجه الصهيوني المعادي للعرب و المسلمين .. يقول المفكر الفرنسي روجيه غارودي : ((وثمة اسطورة اخرى . اسطورة المعجزة الدائمة ، معجزة ((داود)) الصغير امام العملاق العربي المفترس ((جوليات)) بينما يستطيع في الواقع ((داود)) الصغير ان يشحن مقلاعه بكل انواع الاسلحة وبكل الاموال التي تاتيه من الولايات المتحدة الامريكية – وهذه الاسطورة كانت وراء تقبل الراي العام الغربي لكل ما تفعله اسرائيل ، ولكل ما تقترفه من جرائم لايمكن ان يقبلها انسان

- ... الدولة الصهيونية باسرائيل ، تجثم بكل الثقل الامريكـــي على صدر منطقة الشرق الاوسط التي تتلاقى فيهـــا القـــارات الثلاث)) .

وعود على بدء لابد من التذكير انه ومنـــذ الحـــرب العالميـــة الاولى قررت المؤسسة الصهيونية نقل نشاطها الى امريكا .. اما بعد الحرب العالمية الثانية فقد بـــان للـــصهاينة ان نجـــم بريطانيا اخذ في الافول .. وانها لابـــد مـــن ان تنتقـــل مركـــز نشاطها الى امريكـــا .. وهكـــذا طفقـــت الـــصهيونية تتـــصل بالاتحادات المهنية ونقابات العمـــال الامريكيـــة وبمجالـــسها النيابية واعضاء الحزبين الرئيسين الجمهوري والـــديمقراطي ولم يحل عام 1944 حتى كانت اكثر برلمانات الولايات المتحدة قد اصدرت توصيات تؤيد فيها المطالب الـــصهيونية .. فيمـــا هيمنت على اصوات اعضاء الكونغرس وكسبتها الى صفها .. وفي فترة وجيزة هيمن الصهاينة باضاليلهم علـــى اتجاهـــات الراي العام الامريكي لجهل هذا الاخير بالقـــضية الفلـــسطينية وتقصير الساسة والنخب العربية بالاضافة الى التقاء الفكـــرين الامريكي البراغماتي / النيتشوي ، والصهيوني / النيتـــشوي المبنيان على قاعدة البقاء للاقوى .

اما ما يجري اليوم في الشرق الاوسط من الاحتلال الامريكـــي للعراق وتدخل امريكا في شؤون دول المنطقة كما في فلسطين ولبنان وبقية الدول العربية فانه يعني بالــضبط ان الـــسياسة الامريكية ترمي بكل وضوح لتطبيق الستراتيجية الـــصهيونية ولاثبات ذلك فقد نشرت مجلة ((كيفونيم)) الاسرائيلية مقـــالا للمنظمة العالمية للصهيونية بالقدس عـــام 1982 جـــاء فيـــه عرض لاستراتيجية اسرائيل في الثمانينات صعودا .. وقد بينت الدراسة ان الاستراتيجية الاسرائيلية تقـــوم علـــى اســـاس ((التدخل المنظم والعمل ضد انظمة الحكم فـــي جميـــع البلـــدان العربية بغية تفكيكها وتفتيتها مما يتجاوز نطاق كل الاعتداءات السابقة)) .. ان هذا المشروع الضخم والخطيـــر لاشـــك ان اسرائيل ليس بمفردهـــا بقـــادرة علـــى انجـــازه .. اذن هـــذا المشروع هو ماتؤيده امريكا تاييدا غير مشروط وغير محدود .. وهذا ما اثبتته الاحداث اللاحقة .. سنورد مقاطع من هـــذه الدراسة للوقوف على المخطط الصهيوني الامريكي لمـــستقبل المنطقة : ((استعادة سيناء بثرواتها هدف ذو اولوية .. ولكن اتفاقيات كامب ديفيد تحول الان بيننا وبين ذلك .. لقد ماتـــت اسطورة مصر – زعيمة العالم العربي – وفقدت مصر 50 % من قدرتها .. ولن تلبث بلدان مثـــل ليبيـــا والـــسودان .. ان

يصيبها التحلل .. ومشكلات الجبهة الشرقية اكثر واشد تعقيدا من مشكلات الجبهة الغربية .. وتقسيم لبنان الى خمسة اقاليم .. يوضح ما يجب ان ينفذ في البلـــدان العربيـــة .. وتفتيـــت العراق وسوريا الى مناطق تحدد على اساس عنصري او ديني ، يجب ان يكون هدفا ذا اولوية بالنسبة الينا ، علـــى الاجـــل الطويل ، واول خطوة لتحقيق ذلك هو تدمير القوة العـــسكرية لتلك الدول .. اما العراق فهي غنية بالنفط .. وسيكون تفككها اهم بالنسبة لنا من تحلل سوريا ، لان العراق يمثل على الاجل القصير اخطر تهديد لاسرائيل)) .

الفصل الثاني
صدام الحضارات
علائق القوّة .. وحرب الكلمات

ان نظرية صدام الحضارات لا تكمن اهميتها في نجاعة فحواها بقدر ما شكلت اساساً نظرياً تسويغياً لمن كانوا يبحثون عن مبررات لأفعالهم .. فهي تدخل ضمن آليات جديدة طفقت تطبع عالمنا المعاصر .. فلاهي بالآليات التي تعتمد المنطق .. ولا هي بالآليات ذات البعد الآيديولوجي البحت .. لكنها آليات تبرر الواقع المفعول – أي تجعل الواقع مفعولاً لما يقال عنه – وقد سيطرت هذه الآليات على الإعلام العالمي وإستطلاعات الرأي العام وإتجاهات الثقافة الغربية .. لاسيما بعد إنتهاء الحرب الباردة .. لتصبح نظرية صدام الحضارات الظاهرة المركزية للسياسة الأمريكية .. وقد تنازعت هذه النظرية فكرتان فقد رأى فرانس فوكوياما في كتابه ((نهاية التاريخ)) .. إن تشكيل حضارة عالمية موحدة على النمط الغربي – الأمريكي – بات أمراً حتمياً ودعا الى ذوبان الحضارات الأخرى في الحضارة الغربية .. بإعتبار الأخيرة هي الأفضل

والأعظم والأكمل .. ويخلص فوكوياما الى نهاية الصراع بين الحضارات بإنتصار هائل ومدوٍ للحـضارة الأمريكيـة . أمـا هانتنغتون وان كان يتفق مع فوكوياما بفرادة الحضارة الغربية وسموها وحضاضة الحضارات الأخرى وحضيـضها إلا إنـه لايرى إمكانية إنغمار الحضارات الأخرى فـي ميـاه حـضارة الغرب ، وبالتالي فلا يمكن للحضارة الغربية أن تحقق كونيتها مع عدم قابلية الحضارات الاخرى للأنصار بها .. كذلك إختلف هانتنغتون مع فوكوياما حـول إمكانيـات تحـديث وتطـوير الحضارات الأخرى بغية ضمها الى الحضارة الغربية كما يرى فوكوياما حتى ينتهي الصراع .. في حين يرى هـانتنغتون أن الصراع لا يمكنـه أن ينتهـي بهـذه الطريقـة لأن تحـديث الحاضارات الأخرى يشكل عوامل قوة لها لمواجهـة الغـرب وتهديده .. بل طالب ((بسحق وإزالة الحضارة الإسلامية لأنها تمثل خطر على حضارة الغـرب)) . بإعتبـار أن الحـضارة الإسلامية تشكل الخطر الأول تاريخياً على الحضارة الغربية .

المبرر التاريخي

تـــاريخ الحـــضارة الغربيـــة مقـــرف ومقـــزز بوجهـــه الإستعماري .. ولتجميل هذا التاريخ .. ربما يشعر أهل الفكـــر والثقافة في الغرب بعقدة التناقض بين ماض غيـــر مـــشرف وتاريخ دموي وبين واقع ديمقراطي يرفع راية حقوقه الإنسان ونشر الحرية والعدالة .. لذلك طلعوا علينا بهـــذه النظريـــات لتبرير مفعولاتهم الماضية والحالية والمستقبلية .. فضلاً عـــن إن هذه النظريات تحكي تطور علائق القوة تاريخياً بين الغرب والحضارات الأخرى . فالحضارات القديمة التـــي أستـــسلمت للغزو الغربي (كحضارة الهنود الحمر في الأمريكيتين) والتي نحر فيهما الغرب ما ينوف على المائة مليـــون مـــن الهنـــود الحمر نحر الأضاحي بدعوى تخلفهم الحضاري .. وذات الفعل جرى مع الزنوج – السود – في أفريقيا ولكن بشكل نسبي أقل من فعلهم الأول .. أما الحضارة الإسلامية فقد ظلـــت عـــصية على الغرب بالرغم من موجات الغزو ومحاولات تدمير الهوية ونهب الخيرات .. وهم اليوم يريدون إعادة الكرة بإعتبـــار إن الإسلام هو حجر العثر الحاسم أمام عولمة الحضارة الغربية . هذا الامر طرح جدلاً عالمياً ولغطاً أممياً هـــائلاً وكـــان علـــى

طاولة السجال خياران لا ثالث لهما : أمـــا التـــسليم بـــصدام الثقافات وإحترابها ، أو اللجوء الى الحوار بين تلك الثقافـــات .. وهكذا تنادى المفكرون من أرجاء العالم وتداعوا على عقد المؤتمرات للحوار كأسلوب لتفادي الـــصراع .. وكـــان هـــذا الحوار يطرح بين ثقافتين أو جبهتين هما الغرب والإســـلام أو كما يطرح المتعصبون هو حوار بين الشر والخير . والـــصدام ينطوي على علائق القوة واللامعقول أداته العنف والـــسلاح ، بينما الحوار طريق سلمي يبنى على المنطق والعقل .. أداتـــه الكلمات واللغة .. واللغة ((هي مرتع تناحر القـــوى وميـــدان مفعولات السلطات وهي عش الإختلاف ومجال علائق القوة)) .. والكلمات إذاً ((كميات من القوة في علاقة تـــوتر)) .. ولا يمكن للحوار الذي يعتمدها ويوظفها إلا أن يجسد علائق القوة وأهداف الهيمنة .. وهكذا لايمكن تحديـــد الحـــوار بـــالمنطق والأخلاق ونوايا ونزاهة المحاور وصـــدقه ووفائـــه – مـــالم تتعادل القوى لا يمكن تحقيق العدل - . إن الحوار ما هـــو إلا حرب على مستوى الكلمات .. تكون للاقوى صولة وجولة .. وللأضعف بهتة وتضرع .

إن الرؤية الأمريكية .. ومنظورها الحضاري يقوم على الإبتسار والإجتزاء إذ إنهم يعتقدون إن المسؤولين المـــسلمين

المتورطين في العداء للغرب هم أقلية لايحظون بالتأييد العـام بدليل ، لاينكر المسلمون بشكل عام العنف الأمريكي والغربـي - في العالم الإسلامي - . فضلاً عن أن معظم الدول الإسلامية لاتعارض السياسة الغربية والأمريكية .. وهذا يعني إن نتيجة الحوار محسومة سلفاً ، بالإضافة الـى أن أطـراف الـصراع جرى تحديدها وفق تقسيمات حضارية .. عندما كانت أمريكـا تمارس الضغط على العالم الشيوعي فإنها لم تحظـى بالـدعم الغربي المطلوب لكون العالم الشيوعي ينتمي لنفس حـضارة الغرب .. بخلاف العدوان الأمريكي على العـرب والمـسلمين فإنه مدعوم من الغرب لتناقض الحضارتين كما يرسم دهاقنـة التعصب والسياسة في الغرب .. وكذا الأمر لتحديـد أطـراف الحوار فقد روج له على وفق تحديدات جيوسياسـية إتخـذت أسماء ذات حمولة أسـطورية أحيانـاً ، تعتمـد التفـسيرات الصهيونية التلمودية بالتعاون مع اليمين المسيحي الذي يهيمن على السياسة الأمريكية .. ((والغريب إن هـذه التقـسيمات المانوية تأتينا ممن يضعون أنفسهم في جهة ثقافـة الحداثـة والعقلنة والتنوير ، إلا إننا سرعان ما نتبين إنهم يصدرون في تحليلاتهم عن أوليات لاتقـل إصـولية عمـا ينعتونـه هـم بالإصوليات)) .. وقد أفشى سرها وباح بمكنونها بوش فـي

وصفه للعدوان الأمريكي على العراق بأنه حرب صليبية جديدة .. ومثلما فعل رئيس وزراء إيطاليا عندما إدعى تفوق الثقافة الغربية تاريخياً على الثقافة الإسلامية .. وهم يصدرون عن آليات إيديولوجية لإذكاء مشاعر التفوق لدى الغرب وإقتصار أدوار الهداية عليهم .. في الوقت الذي يسمون الآخر بالتغويل والتخلف بصفته حاملاً للعنف مسكوناً بالإرهاب في إطار نظريات من مثل نهاية التاريخ وصدام الحضارات ذات التسويغ الإستعلائي الذي يعتبر الثقافات الأخرى..ثقافات تهدد القيم الكونية التي تحملها الثقافة الغربية وهي تقوم بدور رسالي لإنقاذ البشرية من وهدة القيم الوضيعة.

إن الطرف الغربي في حواره مع العرب والمسلمين يسعى الى تحقيق الإصلاح في العالمين العربي والإسلامي .. من خلال نقل التحديث اليهما وبناء الديمقراطية ، وتحقيق المزيد من العدالة الإجتماعية .. والترويج لثقافة تقبل بالحداثة والتعدد ، لكن المتتبع للسياسة الأمريكية في المنطقة يرى أن ثوابتها تقوم على أساس تمويل سياسة إسرائيل العدوانية .. والترويج لخارطة طريق السلام وفق المصالح الإسرائيلية .. فضلاً عن دعم الحكومات العربية الإستبدادية الموالية للغرب ((إن جوهر السياسة الأمريكية في العقود الثلاثة المنصرمة

كان معادياً للديمقراطية ولحق العرب في تقرير مــصيرهم))
كما يقول شيرل شو ينينغر المــدير المــساعد فــي برنــامج
السياسة الإقتصادية العالمية في مؤسسة((أمريكا الجديدة)) .

فالسياسة الأمريكية في المنطقة تفتقر الى المصداقية ..
كونها تصدر عن إدارة ذات خلفية إصولية عنفيــة متورطــة
بالتحالف الآيدولوجي مع الصهيونية مؤيدة للإستبداد العربــي
.. الأمر الذي أدى وسيؤدي الى فتح المزيــد مــن الممــرات
الواسعة أمام القوى الأصــولية المتطرفــة فــي المنطقــة ..
والمحصلة النهائية لسياسة الإصلاح الأمريكي المزعوم تثيــر
تناقضاً بين التردد السياسي والإقتصادي .. قد ينبيء بــأن ((
الليبرالية)) التي تدعي أمريكا غرسها في الشرق الأوسط قــد
تختصر على الخصخصة .. مما يحمــل الجمــاهير المعــوزة
فاتورة باهضة .. فضلاً عن هروب احتياطات العملات الصعبة
الى الخارج .

ليس الصراع اليوم بين قارة وأخرى ولابــين منــاطق
جغرافية أو معسكرات سياســية .. ولابــين آلهــة الخيــر ..
وشياطين الشر .. ولا بين الــداخل والخــارج لأن ((طرفــي
الصراع / الحوار لايشكلان اليوم طــرفين قــارين جــاهزين
يدخلان فيما بعد في مواجهة بينهما .. ذلك أن ثقافة الحداثــة

إنسلاخ عن ثقافة التقليد)) بمعنى آخر إن الصراع / الحــوار هو بين من يؤمنون بالإصولية المؤدلجة سواء كانت دينية أو علمانية .. ويتمسكون بالفكر التقليــدي كــالإدارة الأمريكيــة والصهيونية العالمية والأنظمة الشمولية الإستبدادية والحركات المتطرفة الإصولية والتكفيرية .. الذين يرفــضون الإخــتلاف والتعدد ويطبقون سياسة التنميط والأحادية والمطابقة الفكرية .. أما الطرف الآخر فيشمل الذين يؤمنون بالحداثة والأنــسنة والعلم والعقل والتنوير .. إنه صراع / حــوار بــين ثقــافتين تتجسدان في البلد الواحد بل عند الفرد الواحد ((ثقافة التقليد وثقافة الحداثة)) .

الفصل الثالث

المد العولمي الامريكي

غالباً ما يفهم من مصطلح ((العولمة)) دلالته التوحيدية الكونية .. وهو إذ يشير الى النفوذ السياسي أو الإقتصادي فإنما يعني إخضاعاً وهيمنة للمركز الغرب – خاصة أمريكا – على الأطراف – العالم الثالث بخاصة – من خلال قدرات الغرب العلمية والتكنولوجية والإقتصادية – الشركات متعددة الجنسية – وإخيراً توظيف الثورة المعلوماتية – الإتصال والأنترنيت .. الخ - وهو ماعرف بـ (العولمة الإعلامية) .. بإنشاء مؤسسات إعلامية دولية هائلة الإمكانات والتأثير .. حتى إرتبطت أخيراً العولمة بمصطلح ((Global Village)) أي القرية الكونية .. تجسيداً لمفهوم العولمة التوحيدي ، وبضمنه التوحيد الثقافي الذي بات يتهدد الثقافات الوطنية والمحلية ويشكل إختراقاً للأمن الثقافي المحلي .. لكن المفكرين إختلفوا في تقييمهم للعولمة بجوانبها الكثيرة .. فقد رأى فريق في العولمة من الجوانب الإيجابية ما يدعو للتطور والإبتكار .. ومن الجانب الآخر فقد يرى آخرون أن للعولمة

خصائص سلبية مجلبة للقلق والإضطراب وداعيـــة لتقــويض الإمكانات المحلية .. بينما يرى تقريـــر التنميـــة البــشرية / البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة لعام 1999 .. بـــأن العولمـــة تشكل : ((عهداً جديداً من التفاعل بين الــدول والإقتــصادات والناس . فهي تزيد الإتصالات بين الناس عبر الحدود الوطنية في الإقتصاد والتكنولوجيا ، وفي الثقافة ، وفي الحكم ولكنهـــا أيضاً تؤدي الى تجزئـــة عمليـــات الأنتـــاج وأســـواق العمـــل والكيانات السياسية والمجتمعات)) .

إن العولمة الوافدة وهي تحمــل مــشروعها ((تــدويل الثقافة)) .. بعد ما سبقها من مــشاريع كتــدويل الإقتــصاد وتدويل العمالة وتدويل رأس المال .. الخ فـــإن أخـــشى مـــا تخشاه شعوب العالم الثالث أن يتم تدويل الثقافة الإســتهلاكية على حساب الثقافة المحلية والثقافة الإبداعية .. لــذلك وأزاء مخاطر تدويل الثقافة الإستهلاكية يمكن تبـــين عـــدة مواقـــف لمواجهة العولمة بوجهها الثقافي .. فثمة مـــن يـــدعو الـــى الإنغلاق .. وهي دعوة هشة لايمكنها الصمود مستقبلاً بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة !! فضلاً عـــن أن التطـــور أساســـه التثاقف والتلاقح الفكري والثقافي بـــين الثقافـــات المتعـــددة والمتنوعة من دون تقويض لمقوماتها الخاصـــة . وبخـــلاف

الإنغلاق هناك من يدعو الى الإنفتاح والإنبساط أمـــام الثقافـــة العولمية ويرى فيها واقعاً مفروضاً لابد من الإعتراف به شئنا أم أبينا .. فيما يأخذ فريق ثالث بالإنتقائية فـــي التعامـــل مـــع العولمة .. إذ يعمد الى الترقب والحذر وفي نفس الوقت لايبدي أي موقف رافض لها .. فهو يعتقد بأن العولمة ((ليست شراً مطلقاً كما أنها ليست خيراً مطلقاً)) ..

تروج العولمة لمشروع ((نهاية التاريخ)) والذي تقصد منه نهاية عصر الآيديولوجيات الى الأبد .. بعد أن أنتـــصرت الليبرالية الجديدة – العولمة – كأفق وحيد للتطور التاريخي .. في ذات الوقت ترفع شعار ((صراع الحضارات)) .. عاملـــة على ((التخفيف من العواطف الدينية والعقائدية وعدم تسيس الدين ومواجهة الحركات الدينية وربما عـــدم التـــورع عـــن ضربها وإستئصالها بالقوة ، وضمن هذا التوجه يلاحظ إهتمام الباحثين الأمريكان خاص بعلاقة العولمـــة بالبعـــد الحـــضاري والثقافي)) . وهي إذ تفعل ذلك فإنما تنطلق من آيـــديولوجيا تؤسس لما يسمى بـــ ((الحضارة المشتركة)) طبعاً حـــضارة الجانب الأقوى بكل تأكيد هي التي ستسود .. فيما يتم تهميش الحضارات الأخرى حيث ((ذهب فرانسيس فوكاياما الى حتمية سيادة الحضارة الامريكية وهيمنتها في كل المجالات ويرى ان

الحضارة الامريكية قد وصلت اعلى مستوى للرقـــي والتقـــدم الذي يمكن ان يبلغه الانسان في اي زمان ومكان وان الانسان الغربي صانع هذه الحضارة هو ارقى واعلى ســـلالة بـــشرية يمكن ان تخرج الى الوجود ، انه خاتم البشرية)) فضلاً عمـــا تروج له العولمة من فكرة ((أفول دور الدولة)) لاسيما فـــي العالم الثالث .. التي تعتمد شعوبها بالدرجة الأســـاس علـــى الدولة كونها دول ريعية إقتصادياً .. حيـــث تعمـــل العولمـــة وبضغوط معروفة من خلال أدواتها لهيمنة القطـــاع الخـــاص على شؤون الحياة في الدول النامية .. في حين أن هذا القطاع لازال غير جدير للقيام بمهمة خطيرة كهذه .

للعولمة مشروعاتها ووسائلها التي تستخدمها للوصول الى أهدافها .. فعلى صعيد المصطلحات أستخدم مـــصطلح ((الشرق الأوسط)) .. لإدماج دولة إسرائيل ضـــمن مفهومـــه وتمييع القضية الفلسطينية والتـــصدي لمـــصطلحات مثـــل ((الوطن العربي)) و ((العالم الإسلامي)) .. أعقب ذلك طـــرح مشروع ((الشرق أوسطية)) وأخيراً ((الشرق الأوسط الكبير)) الذي تجلت ملامحه من خلال إســـتخدام القـــوة المباشـــرة لوضع خارطة سياسية جديدة في المنطقة تقودها أمريكا .. كما تم إستخدام وسائل أخرى للعولمة كالجامعات لنـــشر مفـــاهيم

وقيم وأنظمة فكر وتعليم تبشر بقيم النموذج الغربي والأمريكي .. كذلك تزايـد تـصدير الأفـلام الـسينمائية والمسلـسلات التلفزيونية والأغاني الأجنبية ((ومحاولة جعـل مـضمومنها يسود بالتدريج كنمط تفكير وسلوك للأفراد في العالم النامي)) .. ولما لقضية العولمة الثقافية من مخاطر لإرتباطها بما يـتم من نشر لقيم وممارسات سلوكية مرتبطة بها تتهـدد الهويـة الثقافية المحلية ليس في العالم الثالث فحسب ، بل شملت حتى الدول المتقدمة ، إذ هاجم وزيـر الثقافـة الفرنـسية امريكـا لاستشعاره مخاطر العولمة الامريكية وماتنتجه مـن ((غـزو ثقافي)) حيث قال ؛ ((ان تلك الدول التي علمتنا قـدرا كبيـرا من الحرية ، ودعت الشعوب الى الثورة على الطغيان أصبحت لاتملك اليوم منهجاً أخلاقياً سوى الربح وتحـاول ان تفـرض ثقافة شاملة واحدة على العالم أجمع)) .

باتت دول العالم الثالث تـشعر بـالقلق أزاء أستـشراء ظاهرة ((الثقافة ألاستهلاكية العولمية)) .. الامر الـذي أدى الى تزايد ظهور صراعات عديدة منها ما هـو عرقـي أثنـي ممايعني تقوية الهويات الثقافية الفرعية ، وهيمنة الحركـات السياسية المروجة للثقافة المحلية والطائفية كما في الحركات التكفيرية والدينية بشكل عام فيما تراجـع الـصراع الطبقـي

وانكمش التطلع القومي .. وجرى من خلال الاختراق الثقـــافي العولمي تكريس ثنائية ((التراث والمعاصرة)) وتجذير الـهوة السحيقة بينهما ((مما أفسح المجال لظهور العداوات الاثنيـــة والتعصب الطائفي على حساب المحافظة على الثقافة المحليـــة أو الوطنية حاضراً ومستقبلاً .))

يرى بعض الباحثين أن لاتناقض ولاصراع حقيقي بـــين العولمة والثقافات الوطنية .. لان الاولى تعمل علـــى بلـــورة ثقافة عالمية تستوعب الخصائص الانسانية المشتركة بما فيها الثقافات المحلية .. وبالتالي يمكن ان تكون العلاقـــة بينهمـــا افقية / تبادلية وليست بالضرورة عمودية / تسلطية من خلال دعوة ((حوار الحضارات)) المبنية علـــى أســـاس التثـــاقف والتلاقح الفكري والحوار السلمي الندي .. بإستنهاض القـــيم الإخلاقية الراقية للشخصية البشرية في العالم .. وهذا يعني أن الثقافة الشاملة والكونية التي تحاول العمـــل عليهـــا العولمـــة لاتهمش التنوع الثقافي أو تلغيه .. وقد حدثنا التاريخ المعاصر عن بروز حقائق واقعة تؤكد أن دولاً عديـــدة تفاعلـــت مـــع العولمة بإيجابية وإستفادت من منجزاتها العلمية والثقافيـــة .. ومع كل ذلك إحتفظت تلك الدول بثقافتها الوطنية وموروثهـــا التاريخي . ولنا في تجربة اليابان خير مثال على ذلك .

للتحدث عن العلاقة بين ثقافتنا العربية والعولمة لابد من ذكر بعض خصائص الثقافة العربية التي أصبحت عصية على التغيير والتطور والحداثة !! ..أولى خصائص ثقافتنا هي هيمنة العقيدة على سائر عناصر الثقافة الأخرى .. كما تمتاز ثقافتنا بالإعتناء الكبير بثقافة التراث والماضي على حساب ثقافة الحاضر والمستقبل فضلاً عن إعتمادها على الجدل الديني المشاد على الإنفعال والتصادم والمواجهة وأخيراً التكفير ونفي الآخر وإلغائه .. ومما يزيد الطين بلة إنقسام المثقفين أما الى ((الإغترابيين)) الذين يتعالون على الواقع بالهروب الى ثقافة العولمة أو بالإنعزال عن الواقع العربي .. أو التقليديين الذي يعمدون الى إعادة إنتاج الثقافة المتكلسة التراثية بحجة الحفاظ على الهوية الثقافية . لذلك فإن ثقافتنا مدعوة للحوار والتعامل مع الثقافات الأخرى ومع موجة العولمة على أساس التثاقف والأخذ والعطاء بعيداً عن التعصب والإنغلاق .. وبنفس الدرجة بات على ثقافتنا أن تتسلح بالعلم والتكنولوجيا والإنفتاح على الحداثة لإيجاد حلول للمشكلات والإختلالات البنيوية التي تنخر في عظام المجتمعات العربية من خلال تشجيع ثقافة إبداعية والعمل على صناعة المعرفة لا إستبدالها فقط .. كما يتطلب الأمر تجديداً في أشكال النظم

السياسية وإستبدالها بنظم ديمقراطية تضمن المشاركة الشعبية في صنع القرارات المصيرية .. وبناء تنمية إقتصادية وإجتماعية وثقافية تعطى فيها الأولية للقضاء على التخلف وتقليص الفوارق الطبقية وإفساح الفرص المتكافئة أمام الجميع .. والإهتمام بنظم التربية والتعليم والطفولة والمرأة والأسرة .. وضرورة التحرر من الفكر التقليدي الدوغمائي وإعطاء الحرية اللازمة لتشغيل الثقافات الفرعية والمحلية بعيداً عن القمع والكبت والإلغاء .

الفصل الرابع
العولمة النيوليبرالية

إن الهجمة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ذات البعد الليبرالي الجديد هي مرحلة جديدة شرعت أمريكا في توجيه العولمة فيها بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 ، صارت تعرض الكائن الإنساني لخطر التهميش والأفناء هذا رغم التقدم الكبير في مجالات العلم والتكنولوجيا ، إذ بات يزحف المثلث المرعب ((الفقر والحرب والتلوث)) على الكرة الأرضية تحت جنح الظلام جنباً الى جنب مع تكنولوجيا العولمة الأمريكية . لقد بات الأمر وكأن العولمة لاعودة عنها وأن النيوليبرالية هي نموذجها الذي يملك سلطة المال وسلطة السلاح وسلطة التكنولوجيا بلا منازع .. ليكون العالم بقطب متفرد واحد وطاغ ، لاعالم متعدد الأقطاب ومتوازن ومتراحم ومتحاب .. اذ مع بلوغ انسان الحضارة الامريكية الى ((انه خاتم البشرية)) حسب وصف فرانسيس فوكاياما فان الانسانية تكاد تختتم امالها في العدل والحرية ، يقول جمال الدين الأفغاني : يتحقق العدل عندما تتعادل القوى .

تبنى العولمة النيوليبرالية علـــى مقومـــات وإجــراءات وسياسات في محاولة جادة لفرض آيديولوجيتها بقوة السلاح من قبل الدولة أو الدول التي تسيطر على عمليات الأسواق من خلال الغزو والحصار والعقوبات أو الضربات الممحددة .. الخ ، فضلاً عن إستخدامها المنظمات الإقتصادية الدولية لغــرض الهيمنة على الدول الأخرى مثل صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، ومنظمة التعاون الإقتــصادي والتنميــة ، ومنظمـــة التجارة العالمية . وتقدم على تفعيل الإقتصاد الليبرالي الجديد وفقاً لمنطق المنفعة التي تقتصر على عدد محدود من الدول ، وهذا المنطق الإقتصادي يقوم على أساس أن النمو الإقتصادي يتحقق من خلال ((المركب العسكري الــصناعي)) بالدرجــة الأساس . وله أن يستخدم منطق حصار الــشعوب إذا تطلــب النمو الإقتصادي ذلك .. ((ولنستذكر بأنه بعد أحداث الحــادي عشر من أيلول حاول مجلس الشيوخ الأمريكي إنهاء الركــود في النشاط الإقتصادي مــن خــلال زيــادة ميزانيــة الإنفــاق العسكري (16%) أي بما مقداره (48 مليــار دولار).)) . ومن الجدير بالإشارة أن العولمة النيوليبرالية أنتجــت ثقافــة جديدة تختص برأس المال تقوم على منطق المنافــسة غيــر المتوازنة وبعيدة كل البعد عن التعاون المثمر الذي يتيح لكــل

الأطراف بما فيها الأطراف الضعيفة ظروفاً ندية تساعد علـــى نمو إقتصاديات هذه الأطراف بما يخدم الإقتصاد العالمي ككل .

إن المنافسة غير المتوازنة قد تقود – بالتأكيـــد – الـــى اللامساواة والإختلافات الشديدة ممايترتب عليها الكثيـــر مـــن الظلم قد يفضي الى العنف والإرهاب وبشكل مستمر كما هـــو حادث في العالم اليوم . كما تقوم العولمة النيوليبرالية بإجراء عمليات تغيير وإلغاء للكثير من القوانين التي تحد من الدوران الحر لرؤوس الأموال .. الأمر الذي أدى الى طريقـــة شـــديدة الهيجان للتدفقات المالية مما أفقدها وعلى نحو تتابعي علاقتها بحركات السلع .. كما ينبغي الإشارة الى خلق تركز فـــي رأس المال تسببه موجات المضاربة المالية ((بحيث أن أي شـــركة من الشركات الرئيسية في العالم تبيع أكثر مما تصدره أي من الدول الـــ 120 الأكثر فقراً في العالم .)) . بالإضافة الى ذلك فإن الهجوم الضاري للنيوليبرالية الإقتصادية يـــشق طريقـــه برفقةغزو ثقافي له تأثيراته العميقة على نمو وتطور البلدان ، فقد جلبت العولمة عادات إســـتهلاكية أمريكيـــة فـــي الطعـــام واللباس مثلاً من خـــلال الأفـــلام الـــسينمائية والمسلـــسلات التلفزيونية الأمريكية ناهيك عما تفتحه من أبواب لنوع معـــين من التحرر النيوليبرالي غالباً ما يتعارض مع العادات المحلية

، مستصحبة ذلك مع إدخال ديكورات جديـدة مـن دون فعـل حقيقي مؤثر في أرض الواقع الوطني .. مثل منظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان ... الخ .. ومما يـستتبع ذلـك مـن تشجيع على التفتيت العرقي والأثني والطائفي وظهور حركات دينية وعرقية مؤدلجة تنفي الآخر وتهدد أمن المجتمع بل تنذر بحرب أهلية عرقية أو طائفية .

والأخطر من كل ماتقدم فإن العولمة النيوليبرالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية شرعت بشن حروب ثقافيـة ضـد الآخر منذ عام 1980 ، وقد تولى أحد الكـونيلات الأمريكـان أعداد دراسة بعنوان : من الحرب النفسية الى الحرب الذهنية : سيكولوجيا النصر ، و ((يتحقق ذلك عبر وسـائل الإعـلام التي تمتلكها الولايات المتحدة ، والتي تمتلـك القـدرة علـى الوصول الى جميع الشعوب في أي مكان على وجه الأرض ، وهذه الوسائل الإعلامية تشمل الإعلام الألكتروني إضافة الـى الإذاعة والتلفزة ، وتـشمل إتـصالات الأقمـار الـصناعية ، وتقنيات تسجيل الفيديو ، ووسائل الإرسال الإذاعي عبر الليزر والحزم البصرية ، الأمر الذي سيمكن مـن إختـراق أذهـان البشرية في العالم أجمع بفعالية ! ويعتقد الأمريكيـون أنهـم يملكون من أدوات إختراق الذهن البشري العـام ، وتطويعـه

وتنظيمه على هواهم)) مايمكنهم من تشكيل عقول الآخــرين وتوجيه أخلاقهم وترسيم عاداتهم على وفق هوى أمريكا فــي نفس الوقت فإن أمريكا تمنع بشكل قاطع أن يتجرأ الآخــرون في التأثير في عقول وقيم وأخلاق المجتمع الأمريكي .

عندما ننتقد ((العولمة)) فإننا ننتقــد جانــب التــسلط والهيمنة فيها ، ونشجب ممارسات القطب المتفرد التي توحي بالعنف والوحشية ((التي بدأت بتــسويق ثقافتهــا وقيمهــا متجاوزة جميع الإعتبارات الإنسانية والأخلاقية ، بهدف جــر دول العالم الثالث للأنطواء تحت لواءها)) .. حيث يتم كل ذلك على حساب ملايين البشر في العالم .. بما أن العولمة لاتنــتج بهذا المفهوم سوى عولمة الفقر والمزيد من التهميش لــدول العالم الثالث .

فالمشكلة لاتكمن في العولمة ، بل إن المشكلة تكمن في الإدارة الحالية للعولمة .. فهذه الإدارة تريد أن تستعبد العــالم من خلال فهم أحمق يقوم على أساس سلطة المــال ، وقــوة السلاح ، والآيديولوجيات الأثنية القديمة العفنة . مجندة أدوات تدميرية للإستغلال والإستعمار ((إداة رهيبة لإعادة الأستعمار والإستغلال)) على حد وصف هوغو شافيز رئيس فنزويلا .

إن وحدة أوربا وتعاونها وتعاملهـــا وتكاملهـــا يجنبهـــا شرور عولمة النيوليبرالية .. لذا فالمطلوب من الأمم والـــدول الاخرى تعاوناً أكثر وتكاملاً أوسع لمواجهة ((البلقنة)) التي تحملها العولمة الأمريكية للأمم والشعوب حيث حلت لتحقيـــق أهدافها في نهب ثرواتها والهيمنة عليها .. كما أن المطلـــوب من هذه الدول تعميقاً أكبر للديمقراطية وحرية أوســـع كحـــق تقرير المصير .. ومناخاً أنسب للتعايش السلمي بين المكونات المتنوعة والدول المختلفة .. وتوزيعاً أكثر عدالة للثروات بين أفراد المجتمع .

الفصل الخامس

العولمة الامريكية

منطق العلم .. وآيديولوجيا الإخضاع

اذا كانت الحداثة تعني فيما تعنيه الاخذ بالتقنيات الحديثة وقمتها التطور الكبير في مجالات الاتـــصالات والمعلوماتيـــة ، ومايلزم ذلك من اكتساب الخبرات المنهجية والتكيف على وفق سلوكيات لامحيص عنها ، فان خدين الحداثة .. هو الهيمنـــة الغربية او الامريكية اذا اردنا الدقة .. لان الغرب ما فتئ يجر اذيال التراجع من الساحة الدولية ليدخل في جوقـــة الاذنـــاب التابعين الى الولايات المتحدة الامريكيـــة .. حتـــى اصـــبحت العولمة والتي تقودها امريكا نظاماً للهيمنة على العالم . فمن وجهة نظر اوربا فان العولمة هي نظام لامركة الغرب .. امـــا من وجهة نظـــر الشرق فان العولمة معناها تغريب تام وتبعية كاملة للولايات المتحدة الامريكيـــة .. وبمـــا يخـــدم مـــصالح الرأسمالية العالمية .. لان العولمة (الهيمنة) ليست مشروعاً محايداً ، ولاهي تقصر نضالها الشرس على الجانب الاقتصادي

فحسب بل هي مشروع شمولي ذو ابعاد ايديولوجية يحتل الجانب الثقافي دوراً خطراً فيه .

في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، برزت الولايات المتحدة الامريكية كقوة اقتصادية هائلة – حيث دمرت الحرب اقتصاديات الدول الاوربية – ، ثم رافق ذلك تطورات تكنولوجية وعلمية ولاسيما في مجال الاتصالات والمعلومات لتمهد الطريق للرأسمالية العالمية – ذات أقانيم الاستقطاب والاستغلال – للترويج لمشروعها (العولمة) الذي يرمي الى تجاوز الحدود وتحطيم الحواجز بين البلدان والقارات من خلال المبتكرات التقنية السمعية والبصرية والفضائيات والانترنيت الذي اصبحت حياة الانسان الحضارية متوقفة عليه .. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي اصبحت موجة العولمة أمريكية صرفة ، وصيحتها الصيحة الاكبر وربما الاوحد في العالم . وهكذا طرحت امريكا بعد تفردها في العالم كقطب اوحد اقتصاديا وعسكرياً نفسها ((كنبي)) تحمل رسالة تقود العالم نحو التقدم والديمقراطية والرخاء ، وجعلت من رسالتها (العولمة) كأكبر حركات الاصلاح التي لايوقفها حاجز او حدود او محيطات او معتقدات او قيم .. انها كاسحة لكل ذلك في نفس الوقت تبذر حيث حلت انماطاً جديدة للحياة وافكاراً

مبدعة للعقول .. صنعتها امريكا في مجتمعهـــا واكاديمياتهـــا وتريد ان يتقمصها العالم باجمعه شاء ام ابى .. ان حـــضارة امريكا وثقافتها هي النموذج الذي ينبغي على العالم ان يقتدي به ! .

يمكن القول ان للعولمة اجندتها بما تـــروم عملـــه مـــن تغيير جذري .. ترغيباً وترهيباً .. في طبيعة علاقات الانـــسان بتاريخه وتراثه او بيئته الحياتية بما في ذلك قيمـــه وســـلوكه وعلاقته مع مجتمعه ، بل وبعلاقته بالكون ونظرته اليه .

قد يرى بعض المهتمين بموضوعة العولمة بانها تعـــود بجذورها الى قرون خلت ، لكن المفكر الامريكـــي ((نـــاعوم تشومسكي)) يعزو نشوءها الى بداية ظهور النظام الرأسمالي في اوربا حيث يقول ((لاجديد في النظام الـــدولي فالقواعـــد الاساسية ما زالت كما هي قواعد القانون للضعفاء ، وســـطوة القوة للاقوياء)) بينما ترى منظمة الامـــم المتحـــدة للتجـــارة والتنمية – وهي احدى أهم ادوات العولمة – بـــان العولمـــة ظاهرة متعددة الوجوه .. من ابرز مظاهرها النمو السريع في التجارة الدولية وتـــدفقات رؤوس الامـــوال وازديـــاد اهميـــة الخدمات في كل من التجارة والاستثمار الاجنبـــــي المباشـــر

على السواء ، وتكامل عوامل الانتـــاج والتـــواؤم المؤســـسي بين البلدان على الصعيد العالمي .

فيما يرى آخر بان المقصود بالعولمة هــو : ((أمركـــة مظاهر الحياة كلها ، سواء في الاقتصاد ام العلــوم ام القــيم والتقاليد وحتى الالعاب والفنون والامــراض والجــوع)) .. وهناك من يعتقد بان ثمة فرقاً بين العولمة التي تأتي نتيجــة طبيعية للتطور العلمي والتقني وحركة الاسواق وتقدم وســائل الاتصال واعتماد التبادل .. وهذه تعد مرحلة متقدمة سواء في الصناعة ام في آليات النظام الرأسمالي ، وبذلك تعتبــر بهــذا الشكل حتمية الحدوث ، اما من يعتقــد بـــان العولمـــة نظـــام آيديولوجي شمولـــــي فأنـــــه يـــرى بانهـــا تقـــف بوجـــه الاديولوجيات الاخرى التي تعبر عن خصوصية الهوية الثقافية .. لذا فان صحيفة ((النيويورك تايمز)) تتنبأ بان البلدان التي ستقف في وجه قطار العلومة سوف تمنى بالانسحاق والتراجع الى خلف سكة قطار العصر الجديد .

لعــل ما يتبادر الى الذهن هو : هل ان العولمة تعمــل على كوكبة الاقتصاد العالمي ؟ أي هل هذا التوحيــد ســيكون حيادياً ؟والامر لايقتصر على الجانب الاقتصادي بل يمتد الـــى الجوانب الاخرى الاجتماعية والثقافية والسياسية والتاريخية ،

فاذا علمنا بان العولمـــة مـــستمدة مـــن الفلـــسفة النفعيـــة / البراغماتية .. فهل يصح ما اشار اليه المفكر الفرنسي روجيه غارودي بان العولمة هي وجه آخر للاستعمار .. وان مايفعله الامريكان هو تذويب لثقافات الشعوب الاخرى ؟ .

لعــل من نافلة القول ان الظهور الجلي للعولمة قد بـــدأ في ثمانينات القرن الماضي .. وقد رافقها تطورات كبرى ثلاث : اولها التطور العلمـــي والتكنولـــوجي الكبيـــر فـــي مجـــالي الاتصالات والمعلوماتية الذي حول العالم الى قرية صغيرة من حيث الارتباط والتقارب والانـــدماج ، ويـــسر حركـــة رؤوس الأموال والسلع والخدمات وسهل حركة انتقال الافراد ، كل ذلك من خلال تجسيد هيمنة الشركات متعـــددة الجنـــسيات علـــى اقتصاديات العالم ، وثانيهما زوال الاتحاد الـــسوفيتي وتفـــرد امريكا كقطب وحيد لقيادة العالم والهيمنة عليـــه ، وثالثهمـــا اطلاق التبادل التجاري الحر بازالة القيود والحدود امام تـــدفق رؤوس الاموال لتحقيق الاستثمارات الاجنبية الامر الـــذي ادى الى تهميش الصناعات الوطنية لعدم قدرتها على المنافـــسة . وهكذا تحول العالم الى رهينة في قبضة امريكـــا مـــن خـــلال الشركات المتعددة الجنسيات والتي اصبحت شكلاً جديـــداً مـــن اشكال الاستعمار يهيمن على العـــالم مـــن خـــلال اخطبوطـــه

التكنولوجي والمالي والمعلوماتي .. فضلاً عن استخدامها لادوات العولمة مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي باغراق دول العالم الثالث بالديون المقدمة بشروط استنزافية لاترضى بالضمان والدعم المقدمين من الدولة الى الطبقات الفقيرة .. مما يعني الانتقال بالفقر الى فقر مدقع يلحق افدح الضرر بالشعوب .. وتشويه اقتصادياتها المختتلة اصلا .

يدعي مناصرو العولمة بانها تدعو الى تحرر الشعوب وبناء نظم سياسية تقوم على اسس الديمقراطية والتعددية والتداول السلمي للسلطة وفصل السلطات وحفظ حقوق الاقليات الاثنية ونشر الرفاهية حتى تشمل الشعوب الفقيرة ، ذلك ان الانسانية صارت تجري في سفينة واحدة وبالتالي فان هدفها واحد ومصيرها واحد .. حيث ازالة الحدود وتدفق رؤوس الاموال على كل الاصعدة ووفق آليات السوق ، فضلاً عن استشراء التطبيقات التكنولوجية من خلال شبكات الاتصالات (الانترنيت) التي تتيح المعلومات والافكار بسرعة عجيبة ، الامر الذي يؤدي الى تعاظم الخبرات وبالتالي جني المنافع لكل الشعوب .

بينما يرى معارضو العولمة بان التحولات والتطورات التي صاحبت حركة العولمة كانت مخيبة للآمال بخلاف

شعاراتها البراقة ، اذ انها كانت تعظم المنفعة لمجتمعات المركز التي تمتلك امكانات صناعة العولمة ونشرها .. بالاضافة الى انها تمتلك الشركات المتعددة الجنسيات ، في حين لم تحصد دول العالم الثالث سوى الازمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .. كذلك تعرضت هذه الشعوب المتخلفة الى آلام ومعاناة الفقر والاستبداد والاجتياح الاستعماري الماحق كما حصل في افغانستان والعراق على سبيل المثال .. الذي اوصل تلك الشعوب الى حافة الحروب الاهلية البغيضة .. بل ان الامر تفاقم مع انعدام ابسط القيم والاخلاق ومبادئ حقوق الانسان الذي رافق تيار العولمة الوافد الينا .. مما ادى الى ظهور حركات ارهابية تكفيرية كرد فعل قاس على مآسي العولمة الامريكية الرأسمالية .

بعد ان تمكنت امريكا من الهيمنة على العالم اقتصادياً فهي في طريقها الى السيطرة السياسية سواء برضى الشعوب او بعدمه .. حتى لو تطلب الامر شن حرب مدمرة كما تفعل امريكا الان . ولعل مشروع ((الشرق الأوسط الكبير)) الذي تروم امريكا تطبيقه في العالمين العربي والاسلامي هو اهم اوجه السيطرة السياسية التي تبغيها الولايات المتحدة الامريكية .. وحتى تستكمل مشروعها الاخضاعي لابد لها من

هز المنظومة الفكرية والثقافية لهذه الشعوب المستعبدة اصلاً من قبل انظمتها السياسية والاجتماعية والفكرية .. تسعى امريكا الى تطهير العالم من الثقافات الوطنية وتكريس نوع معين من الثقافة هو الثقافة الامريكية ((امركة العالم)) .. تريد نوعاً معيناً من الثقافة والمعارف والقيم بل واستهلاك السلع ان يسود العالم .. على اعتبار ان الثقافة الغربية – الامريكية – هي الارقى وعلى الاخر الانصهار في بودقتها والا سيكون مصيره الموت التاريخي .

ان اساطين الهيمنة الايديولوجية يعتقدون ان مفتاح هيمنتهم يبدأ من تدمير الخصوصية ((الهوية الثقافية)) للشعوب ، بدعوى ان هذه الخصوصية متخلفة لاتجاري الطفرة الحضارية التي شهدتها امريكا ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد ((ذهب فرانسيس فوكاياما الى حتمية سيادة الحضارة الامريكية وهيمنتها في كل المجالات ويرى ان الحضارة الامريكية قد وصلت الى اعلى مستوى للرقي والتقدم الذي يمكن ان يبلغه الانسان في أي زمان ومكان وان الانسان الغربي صانع هذه الحضارة هو في ارقى واعلى سلالة بشرية يمكن ان تخرج الى الوجود ، انه خاتم البشرية)) .

ان هـــذه النظـــرة المشبعة بالغطرسة وتضخم الذات .. هي ذات النظرة التي تقزم الاخر ((العالم الثالث)) وتسمه بالصغار والتحقير .. فانها تشير الى حتميـة انتـصار القـيم الفكرية والسلوكية للمجتمع الامريكي .. وتقرر حتمية تبعيـة الاخر ((العالم)) لها .. تلك القيم التي تقـود الـى التحلـل الاخلاقي وتفكك الاسرة .. وجنوح الاطفال واستشراء الجريمة والارهاب وانتشـار تعاطي المخـدرات .. وتفـشي الطـابع المادي في المجتمع وتلاشي البعد الروحي للحيـاة .. فـاذا علمنـا ان الشرق يزداد فقراً وتهميشاً بالضد من الغرب الذي يزداد قوة وثراء .. فان استشراء تلـك القـيم والـسلوكيات الامريكية وفرضها على الشرق سيقود الى تكـريس تهميـشه وتبعيته واغترابه الامر الذي يفضي الى استلابه ثقافياً .

ولعل في سبيل تنفيذ امريكا لاهدافها هـذه .. لاتقتـصر على قدراتها الاعلامية على اهميتها ، بل قد تلجأ الى الاقتصاد والسياسة كوسائل ضغط وابتزاز حتى اذا ما اسـتنفدت تلـك الوسائل صارت الى الحرب العسكرية كوسيلة احتلال واستباحة وهذا ماحصل فعلاً !! . وهي اذ تفعل ذلك فانها تهـدف الـى تعميم انموذجها العولمي للسلوك والمدنية .

قد تكون العولمة ((مؤامرة))!! ولكنها ليست اكثر رعبا وتدميراً من مؤامرة التخلف التي صنعناها نحن بأيدينا ! قد تحمل العولمة معاول فكرية تطبيقية لقلب الامور رأساً على عقب .. تدهمنا بقدها المياس وكلامها المعسول .. وتورطنا بأحبولات لايمكن الانفلات منها .. قد ترمي الى خلخلة المفاهيم التي تشتغل عليها مجتمعاتنا منذ قرون في سكونية رهيبة ..كما تعمد الى زحزحة قيمنا التي لاتتوائم مع قيم الحداثة وفكر الانوار ..فضلا عن اعمالها في ادمغتنا رجات متتالية لاذكاء شرارة الشك في معتقداتنا .. بغية عرضها على ميزان العقل وهرسها في مطبخ المنطق للتخلص مما اعتورها من تكلس العصور الخوالي واستنامتها على لامعقولات الدين والسياسة والمجتمع واستيهاماتها .. للتوفر على ملهم تاريخي مضيء في تراثنا التليد .. للانطلاق منه باتجاه الحاضر الذي توهتنا مفازاته .. وضللتنا سباسبه .. املاً بالاشرئباب الى المستقبل الذي نراه دائما بالنكوص الى الماضي ، لاننا لانملك قوة ساحرة ومدمرة سوى قوة الماضي التي تستعبدنا ، بل وتهدد حياتنا كلما اردنا ان نحيى الحاضر او مجرد التفكير بالمستقبل .. العولمة قد تفعل كل ذلك بالنيابة

عنا بعد ان عجزنا ان نفعل أي شيء!! ... ولكنها تفعل ذلــك بشروطها هي .

الفصل السادس

نقد سياسة واشنطن

فشل العقل الأمريكي .. وتأبيد الإستبداد العربي

بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط العالم العربي والإسلامي فريسة للغزو الإستعماري الغربي ، وبعد زوال دولة الرجل المريض – الدولة العثمانية – وضع الإستعمار لبنات بناء أنظمة تابعة ولكنها ذات صبغة ديمقراطية دستورية على الأقل من الناحية الشكلية ليس لأن الإستعمار لا يرغب في قيام ديمقراطيات حقيقية في الشرق الإسلامي ، كما هو المظنون من مآربه وأهدافه ، وإنما لأن هذا الشرق الإسلامي عصي على التغيير والتطور والحداثة .. أي أن الإستجابات الذاتية لهذا الشرق لمجسات الحداثة لم تكن عفيّة ولم تنجز شيئاً يذكر !! . وبعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية إجتاحت العالم العربي والإسلامي سلسلة الإنقلابات والإستقلالات الوطنية .. لينتهي هذا العالم الى أنظمة حكم شمولية إستبدادية – كما هو شأنه في التاريخ – وكانت هذه الأنظمة منها ما هو ذو صبغة يسارية ثورية قومية مدعومة من قبل الإتحاد السوفيتي ،

ومنها ما هو ذو صبغة محافظة أو دينية مدعومة مــن قبــل المعسكر الغربي ولاسيما من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .. ومع سقوط الإتحاد السوفيتي ، تقاربت رؤى الأنظمة العربيــة والإسلامية – المتقاربة أصلاً من حيث الجوهر – تحت رحمة أمريكا إلا من شذ لأسباب آيديولوجية أوهوس دكتــاتوري .. وخاصة من أسمتهم أمريكا بمحور ((الــشر)) . وإذا كــان العقل العربــي / الإســلامي متهمــاً بإنتــاج وإعــادة إنتــاج الدكتاتورية والإستبداد ، فإن العقل الأمريكي / الغربي مجــرم تجريماً مشهوداً بتأبيد الإستبداد في الشرق الإســلامي خــلال القرن العشرين . لأن الغرب – أمريكا هو مــن مكــن للــنظم السياسية العربية والإسلامية من أن تستأسد علــى شــعوبها وتسومها سوء العذاب والفاقة والذل رغم ثرائها المالي نتيجة للمواد الأولية الهائلة ، إذ أن الغرب هو الذي زود هذه الأنظمة بكل أنواع الأسلحة والتكنولوجية العسكرية والأمنية وأمريكــا هي رعت ماعرف بـــ ((الصحوة الإســلامية)) ومــؤتمرات الحركات الإسلامية المتشددة .. بل أن أمريكا من صنع تنظــيم القاعدة وأمدها بالمال والخبرة لمقاتلة الإتحــاد الــسوفيتي .. ولمواجهة الثورة الإسلامية في إيران .. ولمحاصرة الأنظمــة اليسارية والقومية حفاظاً على الأنظمة التقليدية .. من خــلال

توظيف أموال النفط الخليجية . وبما أن الإتحاد السوفيتي قــد زال .. والخطر الإيراني ليس بذي شأن .. والأنظمة اليسارية والقومية إنهارت ، فإن هذا المد الديني المتشدد والمتورط في صناعته التاريخ والتراث والأنظمــة القبليــة بالإضــافة الــى توظيفه من قبل الغرب – أمريكا .. قد وجد نفسه أمام مأزقين الأول يتمثل في إستغلاق ثغور الجهاد – بالمناسبة إسرائيل لم تحسب ضمن ثغور الجهاد وهذا يفسر التشكيل الأمريكي للمــد الديني المتشدد – والمأزق الآخر ، أن الجماهير المتعاطفة مع هذا المد لم تحصد إلا مزيداً من الخيبة والخــسران .. وبغيــة تخلص هذا المد من سبة الدوران في فلك الأمريكان ، فكــان لابد من هزة كبرى ضد الصانع الأول للقرار العالمي ومحاكمته على كل جرائره في الشرق الإسلامي !! فكانــت أحــداث 11 أيلول 2001 وما تلاها من بروز المد الإرهابي التكفيــري .. ولتجديد ثقة الجماهير بهذا المد وزجها فــي مهالــك التكفيــر والفناء . ولم تفق الولايات المتحدة الا على جب تــسقط فيــه بعدما حفرته كمصيدة للآخرين !! فصارت تتــصرف كــالثور الهائج الذي يهاجم كل من يقف أمامه دون أن يــراه . ولــت أمريكا وجهها شطر أفغانستان فأسقطت نظام طالبان وراحــت تلاحق عناصر القاعدة في أفغانستان وباكــستان .. وأقامــت

حكومة على أسس عـــشائرية وقبليـــة وطائفيـــة ذي صـــبغة ليبرالية .. والغباء الأمريكي يتجسد في استحالة الإصلاح فـــي بلد متخلف لا أظنه يبلغ الحداثة والديمقراطية الى يوم يبعثون ، هذا في نفس الوقت الذي إنتشر فيه مد القاعدة التكفيري في العالم الإسلامي وخاصة في منطقة الشرق الأوســـط .. ولـــم تتمكن أمريكا من تحجيم الإرهاب بقدرما ما قدمت خدمة جليلة لإيران - أحدى دول محور الشر الأمريكي - إذ خلصتها مـــن أعتى أعدائها وهو نظام طالبان . ولعل من أجلى مظاهر الغباء الأمريكي وهبالتها أن يستدرجها شخص مثل ((...)) الـــذي قاد المعارضة العراقية ضد الدكتاتورية الصدامية ، علمـــاً أن هذا الشخص ليس له جذور ذات أهمية في المجتمع العراقي .. إذ لم يحصل على عضوية البرلمان العراقي فـــي الإنتخابـــات الأخيرة رغم أنه بطل قرارات الإجتثاث والحل وتفكيك كيانـــات الدولة العراقية .. ورغم لبسه العبـــاءة اللاهوتيـــة – وهـــو العلماني الغربي الصنع – كيف إستطاع هذا الطاريء أن يورط الأمريكان في مستنقع العراق لولا أن الإدارة الأمريكية ((هبلة)) كما وصفها المفكر شاكر نابلسي الذي يقول : ((وعنـــدما نقول بأن الشعب العراقي كان محظوظاً حظاً كبيراً فـــي عـــام 2003 بأن سخّر الله الإدارة الأمريكية (الهبلة) التي أندفعت

لتحريره من حكم صدام ، نعني بذلك ، بأنه لـــولا مثـــل هـــذه الإدارة ، ومليارتها وجيوشها الجرارة ، لظل صـــدام وأولاده وأحفاده يجثمون سلاطين وحاكمين على صدر الشعب العراقي الى يوم يبعثون ، ولن تستطيع قوة عراقية ، أو عربيـــة ، أو إسلامية ، أو عالمية أن تخلعه كما خلعته أمريكا بتكلفة مالية عالية جداً بلغت حتى الآن أكثر من ثلاثمائة مليـــار دولار)) . ومما يؤكد هبالة هذه الإدارة إفتضاح كذباتها الصلعاء واحـــدة تلو الأخرى .. فبعد تلاشي خرافة أسلحة التدمير الـــشامل .. إعترفت هذه الإدارة بعدم وجود أية صلة بين تنظيم القاعـــدة ونظام صدام ، وبعدما جاءت لتحرير العـــراق صـــارت دولـــة محتلة بقرار دولي صـــنعته هـــي !! . أمـــا قـــارورة العـــسل الديمقراطية لعلاج وضع العراق وتحويله الى دولة ديمقراطية كقاعدة لإصلاح الشرق الأوسط ونشر الديمقراطية فيه ، فقـــد تبين نتانة هذه القارورة وتـــسممها بالمحاصـــصة الطائفيـــة والعرقية والسياسية التي مزقت البلـــد كـــل ممـــزق وجعلتـــه مشروعاً للذبح والتهجير القسري والإقصاء والفوضى ، وفيما يتعلق بمشروع أمريكا لإعمار العراق فقد إستفاق العالم فـــي السنة الرابعة من التغيير على خراب ودمار يتجدد يومياً فـــي العراق الأمريكي .. وهذا الخراب لا يطال أملاك الدولة والبنى

التحتية وتدمير الإقتصاد وهدم منازل المواطنين وحسب بل صار الخراب الى النفوس يقودها الى الضياع والشيزوفرينيا والهجرة الى المجهول واللاأدرية .. والأمر الواضح في كل ذلك هو وضوح الهبالة في رؤية هذه الإدارة إذ ما أن أسقطت النظام السابق حتى صارت تطلق التصريحات الفرحة بأنها ستتخذ من العراق منطلقاً لنشر الديمقراطية في المنطقة وهذا ما أرعب الدول المجاورة لأنها إعتقدت أن الدور التالي قد يأتي عليها بصفتها أنظمة آيديولوجية شمولية مستبدة .. فكان منها بدل التعاون مع الأمريكان لإنجاح مشروعهم .. أخذت في العمل سراً وعلانية في محاولة جادة لإفشال المشروع الأمريكي فقد فتحت حدودها أمام الإرهابيين الذين نزلوا في العراق تقتيلاً وتخريباً .. وأمدتهم بكل ما تملك من مال وسلاح تحت شعار مجاهدة المحتلين .. ولكن الحقيقة هي لإفشال أية تجربة ديمقراطية في العراق تهدد هذه الأنظمة المستبدة .. وهكذا صار الشارع العربي غير معني بالإصلاح ولا بالمشاريع الأمريكية وتجذر لديه الإطمئنان القبلي بعد الذي جرى في العراق من كوارث ودواهي تسببتها الهبالة الأمريكية بدءًا من قرارات بريمر غير المعقولة ومرورا بالإنتخابات في مجتمع غير ديمقراطي وما نجم عنها من دستور ملغوم ومفخخ

ولاندري في أي لحظة تنطلق مدافعه وتتفجر مفخخاته الطائفية والفدرالية وقضية العلم وتوصيف الإرهاب والأقاليم وتوزيـــع الثروات وتشكيل القوات المسلحة والأمنية على أسس طائفيـــة مع هن وهن .. مع وجود مجلس للنواب منتخب ولكـــن مـــع وقف التنفيذ .

عندما تصدر الــسلطة قراراتهـــا أو تتخـــذ الإجـــراءات المناسبة بصدد تنفيذ هذه القرارات .. كان لابد لهذه الــسلطة من أن تجري دراسة جدوى لهذه القرارات أو المشاريع مـــن خلال جمع المعلومات وتحليلها مـــع الأخـــذ بنظـــر الإعتبـــار إتجاهات الرأي العام المتعلق بهذه القارارات .. وذلك لا يـــتم مالم توضع خطة مناسبة تبنى على أسس علمية تتنبأ بالنتائج المرجوة والتي يجب أن تصب في خدمة المجتمـــع .. أمـــا إذا جاءت النتائج مخيبة للآمال ومؤذية للشعب .. فالأولى عـــدم التماهل في إجراء المزيد من التعديلات على هـــذه القـــرارات وإستبدال الإجراءات بما يخفف من سلبيات الإجراءات الأولـــى والتي أدت الى خسائر معنوية ومادية الحقت أفـــدح الأضـــرار بالدولة والمجتمع .. فلو نظرنا الى ما جرى في العراق الجديد والذي كان للقرارات المتخذة والإجراءات المترتبة عليهـــا دور التأسيس لكل ما جرى لاحقاً ، لتبين لنا أن القيّمين على أمـــر

العراق الجديد ، لم يتعظوا من التاريخ ، ولـم يحتكمـوا الـى التجربة الناضجة ، بل لم يقوموا بأي عملية مراجعة وإعـادة تقييم على ضوء المنطق وحقائق الأرض .. وبالتـالي كانـت بعض الإجراءات الترقيعية أكثر وبالاً وإدعى للتداعي الكـارثي الذي يحط على العراق بكلكله . فلو أن كل الذي جـرى فـي العراق كان من إبداع عقل شرقي ، لجرى تقريب فهم الأمر .. وإن كان ذلك محيراً ، ذلك أن العقـل الـشرقي يعـاني مـن إختلالات معهودة . أما أن تلك القرارات من صـناعة العقـل الغربي الأمريكي .. فالأمر يدعو الى إعادة تقييم للعقل البشري ككل . وأظن أن السيد جمال الدين الأفغـاني ((رحمـه الله)) صار يضحك في جدثه شماتة بالفيلسوف الفرنـسي أرنـست رينان – الذي صار يبكي ندماً – وكأني بالـسيد راح يـصرخ بوجه رينان قائلاً : عن أي عقل آري متفـوق علـى العقـل السامي تتحدث يارينان بعد الذي جرى في العراق بحسب إبداع العقل الأمريكي . فهذا أول قرارات الإحتلال القاضي بتـشكيل مجلس الحكم على أسس عرقية وطائفيـة .. ليطلـق المـارد الطائفي من عقاله .. ويجر البلد الى إحتراب طـائفي وذبـح مذهبي .. فهؤلاء المتاعيس الذين قرر العقل الغربي الأمريكي إنتشالهم من براثن الدكتاتوريـة ، صـاروا ضـحايا للتقتيـل

التكفيري وديدناً للتهجير القسري .. وأسارى للـذل والفقـر ، ناهيك عن حرمانهم من الخدمات الـضرورية التـي أقرتهـا مواثيق الأمم المتحدة ، فضلاً على تفشي البطالة وإستـشراء السلوك غير السوي والتمرد والإنحـراف المتلـبس بلبـوس العنف الذي ساد المجتمع برمته !!! .

أما قرارات الإجتثاث وحل الجيش وإلغاء الأجهزة الأمنية المتكثرة وتفكيك كيانات الدولة .. التي تركـت مليونـاً مـن المقاتلين الأشداء المهنيين معلقين بين السماء والأرض .. فلم تطلق أيديهم ليرتقوا الى السماء .. ولم تدع أرجلهم ليمـشوا بها في الأرض .. وجعلتهم في موقف المـضطر مرغمـاً لأن ينعق مع كل ناعق ويميل مع كل ريح .. حتى صـاروا نهبـاً للأهواء وغرضاً للسهام وأخلي البلد من سوره ليكون وطـراً لكل دعي وطالب فتنة .. فليت شـعري ليتنـي أدري .. هـل الأمريكان كانوا بصدد مواجهة الإرهاب في العراق والقـضاء عليه .. أم أنهم من هيأ له أسباب الأمداد والقوة التي بطـش بها الناس على أساس الهويـة ؟ .. وهـذا الـسؤال يمكـن زحزحته بل يجب ذلك .. لإستفزاز العقل الـسياسي العراقـي العامل في الساحة العراقية حالياً ولاسيما أصحاب السلطان .. لأن هذا العقل هو شريك للعقل الأمريكي في كـل هزائمـه ..

وهكذا تزداد موجات الكراهية لأمريكا ومشاريعها في العالم العربي والإسلامي .. إذ لا يمكن للعرب أن يصدقوا أن تأتي بمشاريع تخدم قضاياهم وتعود عليهم بالفائدة فقد رأوا بأم أعينهم ما تفعله إسرائيل بالفلسطينيين واللبنانيين من قتل وتهجير وإذلال وبدعم مباشر وغير محدود من أمريكا تحت غطاء دولي تقوده أمريكا .. دون أن تقدم أمريكا ولو مرة واحدة على إغضاب إسرائيل واللوبي الصهيوني فيها لذلك تزعزعت ثقة العرب بها وبقراراتها وبمشاريعها وتبين لهم حجم المؤامرة الكبرى التي تقودها ضدهم خاصة بعد الكارثة التي تعصف بالعراق وتضعه على مفترق الحرب الأهلية والتقسيم والتفكك . ولكن من الجانب الآخر هل يرغب العرب في الإصلاح وإمتلاك ناصية العلم والحداثة .. كل المؤشرات تشير الى عدم تفكير العرب بذلك قط بقدر تفكيرهم في كيفية مواجهة المشروع الإصلاحي الذي جاءت به أمريكا الغبية ، فهؤلاء العرب ((مثلهم مثل حبات الرمل ، تتقارب من بعضها بعضاً ، ولكنها لا تلتصق أبداً)) كما وصفهم الروائي السوري هاني الراهب وهذا الشرق ((ببساطة محصن ضد كل شيء ، فهو لا يتغير مهما تغيرت الدنيا)) كما يقول المفكر العربي أحمد البغدادي .

والدليل ما حصل في العراق .. وأنا أقول ربمـــا حـــصل تغيّر ولكن نحو الأسوأ .. أليس الحـــرب الطائفيـــة وتقـــسيم العراق وخرابه .. وإحتلاله .. أسوأ من الإستبداد الدكتاتوري المقيت .

ويضيف المفكر أحمد البغدادي قائلاً وهو يصف الـــشرق الإسلامي : ((لست أدعي أن الشرق قوي ، بل بكل بـــساطة لديه جينات طبيعية لكل ما هو غير مفيد للأنسان ، فهو يرفض الديمقراطية ، ويرتاح مع الإستبداد . يرفض المساواة ويغـــرد مع الطبقة الإجتماعية ، يرفض الإنسانية ويرتاح مع الطغيان . أنه بكل بساطة يرفض الحياة الطبيعية السوية)) .

الفصل السابع

أمريكا .. ولغة الرمال

ربما ستكون فلسفة ((اللاأدرية)) .. إماماً للعقل البشري يتأسى بها المنتصرون والمحبطون على حد سواء في عالم تقوده الإدارة الأمريكية لاسيما بعد فتحها المبين الذي ابتدأ مطلع الألفية الثالثة في قلب الشرق الأوسط – العراق لأنه لو أن الذي جرى من احتلال وإجراءات ونتائج ذلك الاحتلال كله معللاً ومعقلناً لما رسبت سمعة الولايات المتحدة في قيعان الحضيض ليس في المنطقة العربية والإسلامية فحسب بل حتى في الولايات المتحدة الأمريكية إذ أن أكثر الشعب الأمريكي بحسب استطلاعات الرأي العام .. صارت تنحو باللائمة على إدارة بوش لتورطها المشين في كل الذي جرى والذي لم يكسب السياسة الأمريكية سوى العار والشنار ولم يؤدِ في البلد المبتلى – العراق – إلا إلى التقتيل والتهجير والإقصاء والتقسيم !! ولقائل أن يقول أن غباء الإدارة الأمريكية قاد الولايات المتحدة إلى كل هذا التخبط .. لكن لا يمكننا التسليم بنظرية غباء أمريكا ((الهبلة)) لسبب بسيط وهو أن هذه الإدارة تقود أعظم إمبراطورة للعلم والتكنولوجيا

في العالم والتاريخ .. إذن يمكن أن نعزو ذلك إلى خبث سريرة هذه الإدارة وما تنطوي عليه من مرامٍ .. خططت لها بغية تحقيق تلك الأهداف .. بيد أن الغايات لم تكن أبداً يوماً من الأيام مبرراً لسقوط هيبة أعظم دولة في الكون وانهيار سمعتها حتى في الداخل .. ، يبقى احتمال آخر قد يكون مسكوتاً عنه .. وهو أن رمال الشرق العربي .. منذ وجدت لم يطرأ عليها من التغيير سوى اللمم .. وإن هذا الشرق يُغيّر ولا يتغير بدليل التاريخ .. وإن الولايات المتحدة مصممة على تغييره .. لأنها ترى : إقليم من أقاليم الكرة الأرضية خارج التاريخ الحضاري .. لأنه يشكل تهديداً كارثياً للحضارة الحداثية .. وإن هذا التغيير لا يتم إلا من خلال نظرية – الفوضى البناءة - ، بالمناسبة من العجب أن يعرب بيكر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق عن صدمته لما شاهده من فوضى عارمة في العراق !! . حيث أن هذه الفوضى صناعة أمريكية صرف .. إذ ما أن رفعت الولايات المتحدة غطاء أول قدر عربي .. حتى تقيأ مواراً متصارعاً ومتنازعاً لأسباب أثنية وطائفية وسياسية وفكرية ودينية وكلها تنتمي إلى التاريخ وإن هذا التنازع لابد وأن ينتهي إلى حالة التوازن والتحرر من ربقة التاريخ عندها سيجني – المشروع الديمقراطي أكله .. ثم

يعمم على المنطقة أملاً في إدخالها في بوتقة الحضارة الحداثية . لكن بعد أربع سنوات من الفوضى التدميرية لم ينجح المشروع الأمريكي إلا بصفحته الأولى : النزاع الطائفي والعرقي والسياسي والفكري – لأنه من الطباع الأصيلة للرمال العربية وقد وجد متنفسه الرحب – أما الصفحة الثانية : صفحة التوازن والتحرر من التاريخ .. فلم تحقق وسوف لن تتحقق – على الأقل في المدى المنظور ، من باب لا تيأسوا – لأن ذلك النزاع ليس نزاعاً إيجابياً ولا منتجاً كما قد تورط الأمريكان في تصوره ، بل هو نزاع إقصائي وإلغائي لا يقبل بالآخر ولا ينتج ولا يعيد إنتاج إلا نفسه .. كما شيمة الرمال العربية المتحركة غير المتغيرة وغيرالمتبدلة .

وليس من التندر في شيء ، القول أن الشرق العربي لم يتغيّر إلا بتغيّر إلى الأسوأ بمعنى تكريس ما هو متخلف .. وانتماء نهائي للتاريخ .. وإن أمريكا طفقت بعد أن عجزت في تغييره ، تغيّر نفسها وبذلك تصح نظرية – الشرق يغيّر ولا يتغيّر – لذلك قاد بيكر لجنة شكّلها الكونغرس بدعم من إدارة بوش لتقييم الأوضاع في العراق .. وبعد إنهاء مهمة اللجنة أنكر بيكر على الفور مجرد التفكير في أي حل سهل في العراق .. وهذا أول الغيث ثم الطمي .. لذلك تسربت معلومات من

مقربين من اللجنة العتيدة تفيد بأنها تفكر في عدة خيارات لطرحها أمام الإدارة الأمريكية بغية الخروج من مأزق العراق وهذه الخيارات هي : -

1 – سحب القوات الأمريكية وفق جدول زمني ، هذا الخيار في ظل النزاع الطائفي والاقتتال الذي يجري في العراق لا يعني سوى هزيمة ماحقة للولايات المتحدة .

2 – إشراك سوريا وإيران في الجهود الرامية لوضع حد للاقتتال الجاري في العراق ، وهذا لا يعني سوى استسلام الأمريكان لإدارة دول محور الشر .. وذرف الدموع على أقدامها بغية إنقاذ أمريكا من ورطتها وبالتالي .. جعل العراق نهباً لدول الإقليم ذات المطامع المتضاربة والمتخاصمة كأجندات وتدخلات وسياسات .

3 – التخلي عن نشر الديمقراطية في العراق والتركيز على ضمان استقراره ، الأمر الذي يعني العودة إلى الدكتاتورية وحكم العسكرتارية والنتيجة شبيهة بالمثل الشعبي – يا أبو زيد كأنك ما غزيت – .

هذه الخيارات التي تطرحها اللجنة أمام الإدارة الأمريكية .. هي لتكوين رؤية واضحة أمام هذه الإدارة التي هي بصدد إجراء تغييرات كبيرة على ستراتيجية الولايات المتحدة في

العراق .. لسببين : الأول ، لتفادي المعارضة المتنامية في صفوف الحزبين الجمهوري والديمقراطي الذين يشكلان أغلبية أعضاء الكونغرس ، للسياسة الحالية لإدارة بوش في العراق .. والسبب الثاني .. لأن هذه الإدارة باتت كالغريق الذي يتشبث بكل قش .. تطلعاً إلى خلاصها من ورطة العراق مع حفظ قليل من ماء الوجه على أقل تقدير .. لذلك يؤكد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي : إن النصر في العراق بحاجة إلى حلول سياسية ، ولا بأس من التذكير .. أن رامسفيلد كان يتبنى وجهة نظر البنتاغون الرامية الى إجراء تغيير جذري من خلال تفكيك كيانات الدولة العراقية بعد الاحتلال والتي نفذها عراب وجهة النظر هذه .. بريمر صاحب الخطايا التي لا تفلح معها أية توبة ، .. بخلاف وجهة نظر وزارة الخارجية آنذاك والمطالبة بإجراء تغييرات إصلاحية لا جذرية .. لكن الذي حصل قد نفذ .. وإن حلول رامسفيلد السياسية بعد إجراءاته الجذرية والتي أوصلت العراق إلى ما وصل إليه من دواهي وكوارث ما عادت تلقى اذناً صاغية .. لأنها جاءت بعد فوات الأوان .. وقد سبق السيف العذلِ !! .. أما إمهال كونداليزا رايز للسياسيين العراقيين إلى نهاية العام الحالي .. لإيجاد الحلول المناسبة لتحقيق الأمن والاستقرار .. والخروج

من مأزق العنف والتهجير والقتل الطائفي .. فهو نفخ في قربة مقطوعة !!! .

ألا ترون معي أن آخر الدواء الكي .. وأن أمريكا بغية التخلص من ضجيج الأسئلة الصادمة .. وتكبيت الأصابع المؤشرة النازفة .. أن تعلن أنها تعتنق فلسفة ((اللاأدرية)) كأفق فكري نهائي للعقل البشري حتى يكف عن أسئلته غير المنتجة والمحرجة للولايات المتحدة بقدر إحراجها لنا نحن العرب .. وما علينا نحن العرب إلا أن نركب باسم الله سفينه ((اللاأدرية)) الأمريكية لاسيما وأن لغتها الوحيدة تشتمل على لهجتين اثنتين هما لغة الكابوي ولغة الرمال الشقيقتين . حتى نريح ونستريح !!! .

الفصل الثامن

الاسلاموفوبيا

بعد احداث الحادي عشر من ايلول.. ساد شعور في الغرب مبتناه كراهية العرب والمسلمين بصفتهم الحامل الفكري والسلوكي للارهاب ونتائجه التدميرية التي باتت تهدد الحضارة الغربية في عقر دارها الامر الذي انتج حمولة سلبية تتغذى من تاريخ الصراع الصليبي / الاسلامي المشبع بايديولوجيا الخوف من الاخر المتآمر والمتوحش والمنجب لفايروس الكوارث والنكبات والخراب .. ولعل من نافلة القول ان اليمين الحاكم في اميركا - المأخوذ بأساطير التوراة والتلمود - قد وجد ضالته في هذه الحمولة ، فراح يستغلها استغلال المهووس بالفكر اللاهوتي وميثولوجياه.. ظناً منه ان مايفعله في الشرق العربي والاسلامي، انما هو تنفيذ لامر الرب.. فها هي الآلهة تبارك بوش الابن وتنقاد بين يديه لمقاتلة الاعداء وتحقق النصر في (طرفة عين) كما يقولون، وما احتلال العراق السريع.. الا تحقيق لتلك الاساطير ونزول آلهتها المباركة في ارض الصراع وقد اصاب الكاتب الاميركي جون

كولي بقوله: ((الاساطير الدينية دفعت واشنطن لاحتلال العراق)).. لكن يبدو ان هذه الآلهة قد غسلت ايديها الملوثة من المهمة الربانية الموكلة الى بوش الابن، اذ بعد ثلاث سنوات مضت على احتلال العراق لم تنتج هذه الالهة سوى سيول الدماء التي استشرت في ارض السواد بقضها وقضيضها، سوف لا تترك تلك الالهة بعد رحيلها سوى بضع قطرات دمع ((وتماما مثلما بكى هتلر حينما مات كناريه الاصفر الصغير)) هكذا تفعل الاساطير والرؤى.. فقد كان لتحقيقها على ارض فلسطين من قبل لابد وان يسيل الدم العربي على ايدي الصهاينة، ولكن حينما رأى الفيلسوف الصهيوني احاد هعام- المفعّل والمنشط لتلك الرؤى - تلك الدماء فزع وذعر مما راى وقال قولته المأثورة: ((اذا كان هذا هو الماشيح المنتظر فأني لا اود رؤيته)).يمكن القول ان نبوءة فوكوياما بنهاية التاريخ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي المفضي الى نهاية الايديولوجيات .. مع الانتصار الحاسم للفكر الليبرالي كأفق نهائي للتاريخ لم تعد نبوءة قابلة للتحقيق بعد ظهور ايديولوجيا جديدة في العالم الغربي أستهلت الالفية الثالثة ، تلك هي ايديولوجية الخوف من الأسلام ((الاسلاموفوبيا)) التي تماهي بين الاسلام -والمسلمين -

والارهاب في عملية ادلجة تضليلية تسوغ التجريم الجماعي ، وتنسب الى الجماعة والفكر مايأتيه الفرد كسلوك .. وهو مايذكرنا بالاساطير والرؤى والايديولوجيات الاحادية والشمولية التي تعتاش من اقصاء الاخر وتغييبه.فنهاية الايديولوجية التي تساوقت مع نظرية نهاية التاريخ الفوكويامية .. هي مؤشر على ان الايديولوجية تعاني من ازمة مفتوحة.. صارت تكسبها صفات مشحونة بدلالة تبخيسية لا تنتج الا ((وعياً كاذباً)) يضاد الوعي الصادق الذي يقيمه العلم وتطوره الهائل الذي قزم الايديولوجية الى حد اعتبرت ما قبل تاريخه .. وهذا ينطبق بشكل جلي على الايديولوجيات الدينية الصارخة في الشرق الاسلامي والغرب الاميركي.. فأذا كان الشرق الاسلامي لم يبرح وعيه الكاذب فليس بأقل من ذلك ما تتخبط به الادارة الاميركية.. لان الدراسات العلمية في المجالات التاريخية والانسانية.. لا يمكنها ان تكون بريئة ايديولوجياً.. خاصة عندما تضطلع بذلك شعوب تراثية تاريخية كالعرب والمسلمين.. لان التضخيم والهوس الدراسي للتراث يكون عادة مسكوناً بالهواجس الايديولوجية التي تطغي على المناهج واللاشعور اما الشعوب غير التراثية.. أي شعوب ما بعد التاريخ - كالشعب الاميركي الذي يفترض انه قد تجاوز

التاريخ والايديولوجيا معاً.. فربما صار الان اسير ادارة مؤدلجة بأوهام التاريخ والدين والاساطير الامر الذي يفتح ابواب الردة الايديولوجية واسعاً امامه.. وهذا ما يفسر التخبط والضبابية واللاادارية التي التي تسم السياسة الاميركية التي صارت تنتج وعياً مزيفاً خبلت الادارة الاميركية به.. وتريد تعميمه على الاخرين .

الفصل التاسع
الإستخراب الأمريكي

تعطي السياسة الخارجية الأمريكية إنطباعات مشوشة للمتابعين والمحللين السياسيين .. إذ يعجز الكثيرون في ولوج مناطق العمى في السياسة الأمريكية لأن الضبابية تسود التوجهات الأمريكية في المنطقة لاسيما على مستوى تفاصيل أجندتها ومراميها .. لقد تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية في الشأن العراقي تحت يافطة وجود أسلحة تدمير شامل في العراق تهدد المنطقة والعالم برمته .. حتى إذا تبين بطلان وزيف هذه المزاعم راحت تجري عملية زحزحة لشعاراتها وأهدافها في العراق .. ولعل من نافل القول أنه في الوقت الذي عزمت أمريكا على تخليص العالم من أسلحة التدمير الشامل المزعومة في العراق .. ظهرت دولتان نوويتان جديدتان في المنطقة هما الهند والباكستان تلتهما إيران كقوة نووية صاعدة .. ثم طورت أمريكا أجندتها في العراق ليكون هدف تدخلها فيه هو تحرير العراق من خلال إسقاط النظام

السابقولما لم يحتفى بالأمريكيين كمحررين بل عاملهم الشعب العراقي كغزاة مفسدين .. صارت أجندة الأمريكان الى مجلس الأمن لإعطائهم شرعية دولية ولكن كمحتلين للبلد .. وليس محررين له !

وإذا كانت أمريكا تسعى لجعل ((تحرير)) العراق أمثولة مقتداة لشعوب المنطقة ، فإن مآسي الإحتلال أضحت أمثولة مقززة في نظر شعوب المنطقة التي ربما فضلت بعد الذي جرى الإستبداد الداخلي على الإحتلال الخارجي .

وبعد يأس الأمريكان من نظريتهم التحريرية .. طرحوا نظرية مواجهة الإرهاب الدولي والقضاء عليه في العراق لأن الإرهاب يهدد أمن الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين .. أما الإرهاب المتمثل في تنظيم القاعدة فلم يكن له وجود في العراق قبل الإحتلال إلا في جيب صغير في شمال العراق كان خارج سيطرة الدولة العراقية .. وكان بإمكان القوات الأمريكية المتواجدة هناك منذ حرب الخليج الثانية تطهير ذلك الجيب من عناصر الإرهاب .. ولكن ما أن تدخلت القوات الأمريكية لضرب الإرهاب المزعوم في العراق .. حتى تداعى الإرهاب بكل أشكاله وأنواعه الى أرض الرافدين .. خاصة وأن الأمريكان سهلوا له هذه المهمة من خلال تفكيك الدولة

العراقية وحل مؤسساتها العسكرية والأمنية والإدارية وفتح الحدود لكل من هب ودب .. وبان الأمر وكإنه إتفاق ضمني بين الإحتلال الأمريكي والإرهاب الدولي لتقاسم النفوذ في العراق .

ومع تصاعد المد الإرهابي وتقاسمه خطط قتل الناس وتدمير البنية التحتية مع الإحتلال الأمريكي .. ومع إنكماش دور الدولة ومؤسساتها الأمنية ظهرت قوة المليشيات المسلحة والتي عجزت هي الأخرى في تأمين الأمن للناس لذلك صارت الى أساليب الإرهاب تتبادل معه النفوذ والهيمنة . والشعب وحده من يدفع الثمن من دمه وماله وعرضه ووطنه وهو يئن تحت الكابوس الثلاثي ، الإحتلال والإرهاب والمليشيات ناهيك عن العصابات والتدخلات الإقليمية والدولية الأخرى .

وإستطراداً لنظرياتها المتتابعة والتي لم تحصد منها سوى الفشل تبنت أمريكا قضية الديمقراطية وتطبيقها في العراق كنموذج يحتذا من شعوب المنطقة مستقبلاً .. ولكن بعد ثلاث سنوات ومع إجراء العديد من الإنتخابات فقد تحول العراق من نظام دكتاتوري الى نظام فوضوي تتقاذفه دكتاتوريات وتحول من رئيس واحد الى رؤساء كثيرين وتحول من دولة واحدة الى أقاليم .. وتحول من مركز قوة واحد الى

مراكز قوى كثيرة جداً ((ناس تجر بـــالعرض ونـــاس تجــر بالطول)) .. ولم نحصد من الديمقراطيــة ســوى خــراب ((البصرة)) ، لذلك إضطر فرانسيس فوكوياما الى نقد السياسة الأمريكية في دمقرطة البلدان المتخلفة – وعلى رأسها العراق طبعاً – ودعا الى تحديثها أولاً .. من هنا إهتمــت الولايـــات المتحدة بوضوعة إعادة بناء العراق وإعماره أخيــراً بعــد أن تبخرت مليارات الدولارات المخصصة لهذا الغرض من قبل .. وقد قيل أن بريمر دخل العراق كخبير في الإرهاب وخرج منه كخبير في توظيف رؤوس الأموال .. أما ذيول بريمر فلا تعــد ولا تحصى !! .. بعدما تقدم هل فهمتم شــيئاً عــن الــسياسة الأمريكية في العراق ؟ أنا والحق يقال لا أفرق بين الإستعمار والإستخراب كما قال من قبل جمال الدين الأفغاني ! .

الفصل العاشر

آثام بريمر

شهد العصر الحديث سقوط الكثير من الأنظمة الشمولية والإستبدادية وكان للتأثير الخارجي دور لا ينكر في ذلك .. غير أن الإرادة الشعبية الداخلية كانت لها الكلمة الفصل في النهاية بحسم الأمور .. بيد أن ما جرى في العراق في 9 / 4 / 2003 .. من إسقاط للنظام الدكتاتوري لم يكن للإرادة الشعبية الداخلية الدور الحاسم .. بل ليس لها دوراً يذكر بالمرة !! بينما كان للتدخل الخارجي العسكري والمباشر الدور الحاسم في عملية إحتلال العراق وإسقاط النظام السابق .. أما ما روجه المعارضون للنظام السابق بأنهم كانوا أدلاء الأمريكان .. لإستقدامهم وتوريطهم في مستنقع الدم العراقي .. فليس بحجة إذا ما قيست الأمور بنتائجها الكارثية والتي بات لا أمل لأي مواطن للنجاة من رذاذ نافوراتها القانية .

ما جرى في البلدان الأخرى المماثلة لتجربة العراق كالدول الشيوعية في أوربا .. إنما يدل على حكمة وحنكة القيادات التي تصدرت السلطات بعد التغيير وتمكنت من نقل

بلدانها من أنظمة شمولية الى دول ديمقراطيـــة ســـائرة فـــي طريق التقدم والإزدهار .. ولعل أقرب تجربتين لوضع العــراق هما تجربتا إسبانيا بعد زوال نظام فرانكو وجنوب أفريقيا بعــد زوال نظام الفصل العنصري حيث تمكن الزعيم الوطني مانديلا من طرح وإنجاز مبادرة المصارحة والمصالحة لينقل شعبه من الإستبداد والبغضاء والإقتتال الى شعب يتوحد ويتطلـــع الـــى المستقبل تحت شعار التسامح والمحبة من خـــلال إجــراءات وآليات واقعية وبراغماتية جنبت البلد ويلات التشدد العقائدي ، والنفس الثأري المهووس ، والشطط السياسي المراهق .

أما في العراق .. وبعد التغيير ، فكـــان المفــروض أن يستفيد القائمون على الأمر والسلطة فيه من تجارب التـــاريخ والشعوب الأخرى .. وكان عليهم منذ البدء إنجـــاز مهمتـــين أساسيتين هما :

الأولى : إقتصار التغيير على السلطة السياسية العليا فقــط .. والإبقاء والحفاظ على جميع كيانات الدولة .. وإذا تطلب الأمر تنقيتها من الشوائب .. فيتم ذلك بهدوء ويترك للزمن الكفيـــل بإنجاز تلك المهمة .

الثانية : إطلاق مبادرة للمصالحة تنصف أولاً المتضررين من النظام السابق .. وتعطي فرص للخاطئين للإنخراط في العملية

السياسية وتتصدى للمجرمين قبل وبعد التغيير ويكون أساس هذه المبادرة هو التسامح ولملمة الجراح وتجسير الهوة بين أبناء الشعب الواحد والتطلع الى المستقبل من خلال بناء دولة ديمقراطية عادلة . لكن الذي جرى بخلاف المتوقع والمفيد لهذه الشعب ، إذ أن القادة الجدد الذين رافقوا القوات الأمريكية في إحتلالها للعراق .. أعتبروا أنفسهم أصحاب فضل على الشعب العراقي ، وكانت هذه العقدة أول الشر .. إذ إندفع السادة في ترتيب أوضاعهم الشخصية وإمتيازاتهم المالية وتركوا الشعب نهباً للمافيات والعصابات والأجندات المحلية والإقليمية ناهيك عن الدولية ، وكان للمشروع المحاصصي المتبنى من القادة الجدد والذي أقر منذ مؤتمر لندن للمعارضة الدور الحاسم في توطيد التخندق الطائفي وشق صفوف الأمة العراقية .. والأنكى من كل ذلك أن هؤلاء القادة رفعوا شعار نفعي مفضوح لكنه مفيد في البلدان المتخلفة .. ألا وهو شعار المظلومية .. مظلومية بعض الكيانات العراقية من قبل كيانات عراقية أخرى .. بل جاهر بعض الوصوليين بمحاولة إعطاء الموضوع بعداً تاريخياً ليصل الى مستوى العقائد والمذاهب الأمر الذي قاد الى دق أسفين تقسيمي بين أبناء الشعب العراقي .. ساهم في إنجاح المشاريع الطائفية الممهدة للحرب

الأهلية والقادمة من خارج البلد .. ولقد كان لقرارات بريمر والتي ساهم في صنعها هؤلاء القادة الدور المؤسس لمأساة العراق القائمة .. إذ لم يجر في التاريخ أن تم تفكيك دولة بهذه الطريقة من حل لجيش عرمرم وأجهزة أمنية تفوق كل الأجهزة الإقليمية وبالتالي .. ترك مليون مقاتل من الدرجة الأولى مرمياً في الشوارع والبيوت مطروداً مذموماً منتهك الحقوق .. فماذا كان يتوقع أصحاب العقول الألكترونية الفائقة في البنتاغون ومعهم أصحاب العقول الثأرية حد العمى .. أما قرار الإجتثاث .. فلعل من نافل القول أن هذا القرار لم يقصد حزب البعث ، لأن حزب البعث كان قد حل قبل هذا التاريخ .. وإنما القرار كان موجهاً لتفكيك الإدارة في الدولة العراقية .. إذ إستهدف الموظفين الذين كانوا يشكلون الأعمدة الأساسية للدولة العراقية .. وبطردهم من وظائفهم إنهارت تلك الدولة .. وإستشرى الفساد الإداري والمالي بما لا مثيل ولا سابق له .. وعلى سبيل المثال لا الحصر إنهارت بشكل واضح الإدارة التربوية وتصدع التعليم الجامعي .. لا عليك من التبجح والشعارات إذ بعد مضي ثلاث سنوات على التغيير يحصد الجميع النتائج الرهيبة والمنبئة بمستقبل مؤلم لهذا الشعب وإن أوزار ذلك كله في رقاب هؤلاء القادة الذين يقدمون اليوم

على طرح مبادرة المــصالحة .. دون أن يبرحــوا مــواقفهم السياسية ولا أمل في إعترافهم بأخطائهم القاتلــة .. والــذي يعتبر شرطاً مهماً لتصحيح الأوضاع وإنجاح المصالحة .. وإلا فهم وحدهم من يتجشم عناء حمل آثام بريمر .

الفصل الحادي عشر

الإحتلال وإنعدام الخدمات

عانى العراقيون الأمرّين في ظل النظام الدكتاتوري بدءاً من ثمانينيات القرن الماضي عندما إندلعت الحـرب العراقيـة الإيرانية العبثيّة بكل معنى الكلمة .. والتي حصدت خيرة شباب البلدين وكادت أن تودي بإقتصاديهما ، وتركت من الجراح ما بات إندمالها صعباً مستصعباً ، ثـم جـاءت حـرب الكويـت المشؤومة ومارافقها وتلاها من حصار إقتـصادي ذي نتـائج رهيبة على كل المستويات في العراق ، لا ينفرد النظام السابق وحده بمسؤولية حدوثه بل كان للأمريكان وأذنابهم وما كـان يعرف بالمعارضة العراقية آنذاك الدور الأخطـر فـي إنهـاك العراقيين معيشياً وإرهاقهم جوعاً وما يرافقه من ذل الحاجـة والمسألة حتى إهترأت جلودنا وصارت كالعهن المنفوش !! .. لكن على أية حال بعد عام 1996 وعندما طبق برنامج الـنفط مقابل الغذاء .. إطمأن العراقيون نسبياً الى الحصة التموينيـة الشهرية الثابتة وبموصفات لا بأس بهـا .. وكـان الخـزين الستراتيجي من المواد الغذائية قبل سقوط النظام السابق خزيناً

متيناً والدليل أن النظام قام بتوزيع ست حصص شهرية بصفقة واحدة .. أما المحروقات فبقيت متوفرة وبأسعار رمزية (سعر لتر البنزين بـ 20 ديناراً) كذلك المشتقات الأخرى من النفط الأبيض والغاز حتى ان قنينة الغاز كان سعرها حتى عام الإحتلال 2003 بـ (250) دينارا ويعاقب الباعة في حالة تجاوز هذا السعر بعقوبات رادعة . ولكن ما أن تمّ ((تحريرنا)) من قبل الجيوش الأمريكية – الأمم المتحدة .. العالم كله .. حتى أمريكا يقولون إحتلالا .. لكن وحدهم أعضاء مجلس الحكم والحكومات المتتالية المنبثقة عنه .. وحدهم من يقول تحريراً وليس إحتلالاً – حتى أدخلونا في متاهات لها أول وليس لها آخر من الأزمات .. فلقد لاعبونا ملاعبة المحترفين في الوقت الذي كنا نحن هواة أغرارا ، وإشتدوا في الهجوم المتقنن علينا حتى أقعدونا على بساط ((المروّة)) .. فهذه البطاقة التموينية نفشوها بالكلام وأذابوها عند الإستلام ككرة ثلج .. حتى نسينا الكثير من مفرداتها بل أوصلونا الى حد لا نعرف معه مالنا وما علينا حتى جعلناها نسياً منسياً ..

سألت زميلي : كم كان راتبك قبل الإحتلال ؟ فأجاب (15000) دينارا ، فقلت له وكم هو الآن ؟ فقال (200000)

ديناراً ، وهذا يعني أن راتبه يعادل قبل الإحتلال (60) قنينة غاز حسب سعرها آنذاك

(250) ديناراً ، بينما يساوي راتبـــه الحـــالي (8) قناني فقط حسب سعرها الحالي (25000) ديناراً ، وكـــذلك يمكن براتبه القديم أن يحصل على (750) لتراً من البنـــزين الذي كان بسعر 20 ديناراً للتر الواحد ، بينما ما يحصل عليه براتبه الحالي يساوي (100) لتراً فقط حسب السعر الحالي (2000) ديناراً للتر الواحد . وهذا مؤشر رهيب على إنهيـــار المستوى المعاشي للمواطنين ناهيك عن شـــحة المحروقـــات وإفتقادها مع القبول على مضض بأسعارها الجهنمية .. فلقـــد هجرنا الغاز بالمرة وتحولنا الى النفط الأبيض لتـــامين طـــبخ الأغذية بـ ((الجولة)) ثم إفتقدنا النفط الأبيض تماماً .. فصرنا الى الحطب والجلة والبعرور .. وقمنا بشراء تنانير الطـــين .. وعدنا الى أصالتنا لاننا لانملك الا العودة الى تخلفنا . بل نمـــا الى اذني خبرعن البدء بتأسيس شركات كبرى تحـــت رعايـــة الإحتلال تختص بصناعة المطّال ، والمطال هو عبـــارة عـــن اقراص مصنوعة من أرواث الحيوانات – السرجين – يجفـــف ثم يباع الى المواطنين لإستخدامه كوقود بدلا مـــن المـــشتقات النفطية في بلد يطفو على اكبر احتياطي من النفط في العالم ..

وكأفق نـهائي تفتق عنه ذهن بوش بمشورة بريمر وبتأييد من مجلس الحكم لحل أزمة المحروقات في العــراق الامريكـــي .
والشكر لبوش وبريمر اللّذين لايشكر على المطّال سواهما .

الفصل الثاني عشر
المشي فوق العجين

يقول بول بريمر : ((شجعتني الجزمة التـــي أرتــديتها على ركل مؤخرات بعض الاشخاص)) .. وهو يصف بكل دقة سياسة البسطال الأمريكي في العــراق .. اذ مـــا غايـــة هــذا البسطال الماحق سوى الركل المؤلم في مؤخرات العــراقيين ؟ .. طبعاً قد يظن البعض ان اخر اسلحة الدفاع المتفتقة عنهـــا عقولنا لردع البسطال الأمريكي ، هو الكشف عن عوراتنـــا .. فيغض طرفه تكرماً وحياءً .. وبذلك ننجوا بجلودنا المتهرئة ، لكن يبدو ان الجميع يقيسون الحاضر على الغائـــب – غائبنـــا الغابر فقط – ذلك ان ابناء العم سام لايتهيبون مـــن فــضائح كشف السوءات .. لأن كل واحد منهم يبرقع وجهه بأســـته ، ويكحل عينه بعورته ، ويشنف أذنه بسوءته – الم يأتكم حديث سجن ((أبو غريب)) شاهداً على ذلك – وهكذا فأن حيلة أبن العاص ما عـــادت تجــدي .. فقـــانون البـــسطال الأمريكـــي البراغماتي ، قد يستثمرها أبشع أستثمار في عمليات الاخصاء

والتعنين في العراق الجديد ، والامر سوف لايتوقف على الاخصاء الجسدي الايروسي ، ولاعند العنّة الشبقية ، بقدر ما يرمي المحتل الامريكي الى الاخصاء الذهني .. والعنة العقلية – الا ترون معي اننا نحيا في هاتين الدوامتين بذات شيزوفرينية ضليلة :- والمحتل الامريكي بصفته المقاول الاكبر يعمد وفي كل مقاولاته الى استخدام مقاولين ثانويين من الباطن .. لتنفيذ مشروعه المتعلق ببناء الشرق الاوسط الكبير والذي فحواه تحويل دول الشرق الاوسط الشمولية الاستبدادية الى محميات واهنة يجمل أعلاها بالدمقرطة ويخنث أسفلها بالخنى لتطأها خيول بني صهيون قضاءً لحاجاتها .. ونيلاً لأوطار الأمريكان .. ومن المؤكد أن هؤلاء المقاولين الصغار يجب أن يمشوا فوق العجين دون أن يتركوا أثراً .. وإلا فلن يكونوا بافضل حالٍ من سلفهم بطل التحرير– عفواً الإحتلال – القومي !!! .

بالمناسبة لابد من الإشادة بالسفير خليل زادة لأنه – والحق يقال – إستطاع أن يجيّر معظم الساسة العراقيين سواء كتل الموالاة أم كتل المعارضة .. وتمكن وبكل جدارة أن يحولهم الى مقاولين من الباطن .. فالسلطة والمال تلوي أعناق الرجال كما يقال .

يصف بول بريمر بعض هؤلاء المقاولين من الباطن ولا سيما المتنفذين منهم والذين تربعوا على العرش السلطاني منذ نيسان 2003 ولمّا يزالوا كذلك ، بأنهم معروفــون بــصعوبة التعامل .. أحسب إنه لا يقصد عجرفتهم تجاه المقاول الكبيــر لأنهم أذكى من أن يخسروا عروشهم الأمريكية الصنع كمـــا لا يخفى ، وإنما يقصد صعوبة فهمهم لتطلعات وحاجات شـــعبهم المنكوب .. وبالتالي عدم قدرتهم على التعامل مع واقع الشعب لأنهم لم يعيشوا تجربته المريرة والقاسية !! .. ويستمر بريمر بوصفه لهؤلاء الساسة قائلاً ((فهم يتقنون لعبة حافة الهاوية .. ويبقون على تهديداتهم حتى اللحظة الأخيرة)) .. طبعاً هذه اللعبة لايمارسونها مع أولياء نعمتهم كما هــو ديــدن الــذين يعرفون من أين تؤكل الكتف ! والحال هذه أن كتــف الــشعب وحده سوف يؤكل من قبل المقاول الكبير الذي بــدوره يتــرك بعض حواياه لمقاولي الباطن .. ، وإن جسد الــشعب وحــده الذي يصاب بالفتق نتيجة ركل البسطال .. وإن وعي الــشعب وحده الذي يصادر من خلال لعبة حافة الهاوية .. التي تهوي بالعقول .. في خزعبلات اللاهوت وميثولوجياه بعيداً عن العلم والناسوت ! .

الفصل الثالث عشر
صناعة الموت

للمتمعن فيما يجري في العراق منذ الإحتلال 2003 .. لابد من أن يثور قلقه ويحفز عقله بل ويعيد النظر في كل مسلماته .. بفعل الصدمة الفكرية التي تستفز ثوابته .. وعليه أن يودع هدوء البال .. وينسى إسترخاء الأعصاب .. ويسقط من حسابه رتابه فكره ومنهجيته .. لأنه أزاء حقائق على أرض الواقع ومشاهدات مباشرة ذات مساس فوري وحاسم بحياة الناس .. في واقع أصبح فيه اقوى مظاهر الإستقطاب بين حركات وإتجاهات تملك الدين والسلاح والمال .. وتتحكم بمفاصل البلد وتتقاتل فيما بينها من أجل السلطة .. مستخدمة الشعب المسكين كوقود لفتنتها المشبوبة بالطائفية والعرقية والأجندات الإقليمية والدولية . لقد أصبح الموت في العراق سلاحاً سياسياً وثيوقراطياً .. يستخدم ببراعة وبدون وازع من دين أوخلق أو ضمير لتعجيز الشعب .. وإبتزاز مثقفيه وعلمائه .. إن صناعة الموت هذه التي يتناوب على تنميتها .. ويتنافس على تسويقها المحتلون والتكفيريون والمليشياويون

وإخوة الأرومة والدين .. تسير جنباً الى جنب مـــع صـــناعة الفقر والجهل وتأبيد التخلف . ستتملكك الدهشة ، ويـــستفزك الغضب .. حينما يفجر إرهابي نفسه وهو يصرخ ((الله أكبـــر)) في حشد من الناس فيه الكثير من النسوة والصبيان .. بل ستزداد نقمة وحنقاً .. عندما تشاهد مليشياوياً يختطف شخصاً تحت ترهيب السلاح وصيحات السلف الصالح ((الله أكبـــر)) .. وكأنه فتح ((عمورية)) .. وتكاد تتلاشى أنفاسك وتـــذوي غماً .. وانت ترى صواريخاً أمريكية تدك بيتاً عراقيـــاً لتقلـــب عاليه سافله وتجعل أحياء أهله أمواتاً من دون أن يعرفوا سبباً واحداً لما جرى لهم !! .. لكن أن تنقل لك الأخبار قيام جنـــدي أمريكي ((لقيط)) .. بمهاجمة دار آمنة في المحمودية وقتـــل الأب والأم والأطفال .. ثم ينزو على إبنتهم ذات الستة عـــشر ربيعاً نزو القردة .. ليغتصبها – كما إغتصبوا شرف العـــراق من قبل – ثم يقدم على قتلها ومحاولة حرقها ، بل ومحاولـــة تحميل مسؤولية هذه الجريمة النكراء لجهات مسلحة معينة ! .. فأي ذل أعظم من هذا .. ولك أن تقوم ولا تقعـــد إلا حزنـــاً وكمداً ووهناً وهزيمة تاريخية . فهل صناعة الموت المرعبـــة والمستشرية في البلد .. وهل ثلم شرف حرائر العراق ســـوف يقلق الحكومة والكتل السياسية ؟ .. وهل أن هذا القلق سيفجر

صدمة الإفاقة واليقظة من الغفلة ؟ وهل تجعل الحكومة والأحزاب والمرجعيات والعشائر والمثقفين وعموم الشعب سيدركون في النهاية .. أن صناعة الموت التي راجت مصانعها في العراق .. تكمن وراءها صراعات عالمية وإقليمية ومحلية تتخذ من لعبة الموت في العراق ساحة لتصفية حساباتها ؟ .. وهل سيدرك الجميع في العراق أن ليس ثمة منتصرا من العراقيين .. لأن صناعة الموت ستهزمهم جميعاً وبدون إستثناء !! .

الفصل الرابع عشر
الاستقواء الطائفي

يكاد لايختلف اثنان في ان العملية السياسية الجارية في العراق جاءت ولادتها من خلال عملية قيصرية تمت على ايد اجنبية استعمارية في اعقاب نظام دكتاتوري شمولي وعلى اعتاب نظام حكم يقوم على اسس الطائفية السياسية .. وبذلك فقد كان نظام الحكم المعبر عن العملية السياسية نظاما غير سوي وذا ملامح شوهاء لانه ولد من رحم نظام مستبد محليا بل ونشر استبداده الى مستوى الاقليم العربي والاسلامي .. وكان اسقاط هذا النظام على يد قوة مستبدة كونيا تريد ان تفرض اجندة العولمة على العالم ومن الطبيعي فانها تبدا عملها العولمي التنميطي بما تسميه هي دول محور الشر لتجعل من هذه الدول ((المارقة)) عبرة لبقية دول العالم ((الاقل شرا)) !! ومن الطبيعي ان يعطى العراق اهتماما اولويا لتثني امريكا على ايران وسوريا وتكون بذلك قد احكمت سيطرتها وبشكل كامل على منطقة الشرق الاوسط من جهة ولتجنب

اسرائيل اية مخاطر محتملة مستقبلا من جانب اخـــر . ولمـــا كانت امريكا تدرك جيدا ان الشرق العربي الاســـلامي عــصي على التغيير والتطور واستيعاب الحداثة ، جاءت بفكرة جديدة لهذا الشرق علها تكسر اصنامه المقدسة . بيد انها اخفقت ايما اخفاق بتطبيقها نظرية

((الفوضى الخلاقة)) في العراق .. فكانت قــرارات بريمـــر الكارثية المؤسس الاول لهذه الفوضى التي ادت الـــى انهيـــار الدولة وتمزقها مناطقيا واستباحة ارضها من قبل الجميع بعدما فتحت الحدود على مصراعيها لكل من هب ودب .. فيمـــا راح السياسيون المتحالفون مع الامريكان يؤسسون لنظـــام حكـــم يقوم على اساس المحاصصة الطائفية . والذي يقـــوم علـــى ركيزتي الانتماء والولاء الامر الذي الغى من قواميس الدولـــة روح المواطنة وحطم مفهوم الكفاءة .. حتى استـــشرى المـــد الطائفي .. اذ بعد ان كان هذا المد ينمو عموديا صـــار بعـــد السقوط ينتشر افقيا ويتعزز تصاعديا .. وراح ساسة كل طائفة تحاول الاستقواء على الطوائف الاخرى املا في الحصول على غنيمة اكبر وامتيازات اكثر .. ومن الطبيعي ان يتم تاجيج هذا الاستقواء الطائفي محليا والاعتماد في عملية المنازلة الطائفية على الخارج اقليميا او دوليا .. واشتدت الاطراف جلّها في هذا

الاستقواء ليفضي الامر الى نخبة تتربع على نعمة موفورة وزرابي منضودة وصارت تقتن لامتيازاتها وتاسس لطبقة سياسية متناحرة على مستوى الاعلام والسياسة والطائفة والاتجاهات لكنها متناغمة على مستوى تقاسم الغنائم والسلطة ، يقابل هذه النخبة شعب منكود تتناهبه عصابات القاعدة الارهابية ومجاميع المليشيات الاجرامية ناهيك ما يفعله الفساد الاداري الذي سرى في كل مفاصل الدولة والمؤسسات سريان النار في الهشيم ، ولم يحصد ابناء الشعب العراقي من كل ذلك سوى القتل والتهجير والتفجير والاحباط وانعدام الخدمات والتشرذم الذي طال كل مفاصل المجتمع حتى على مستوى الاسرة الواحدة . وهذا كله من بركات الفوضى الخلاقة والاستقواء الطائفي فانهما توأما خراب العراق .

الفصل الخامس عشر
السواد بستان الأغراب

بعد ان اجتاحت جيوش أمبراطورية العلم والتكنولوجية .. ارض السواد – التاريخ يؤكد ازلية صفة السواد في انطولوجيا العراق – لذلك قال العراقي متغزلاً بحبيبته العراقية -:

فشعرك مثل ثوبك مثل حظي   سواد في سواد في سواد

نعم بعد الاحتلال ظن الكثير -وبعض الظن أثم – ان هذه الامبراطورية المعتدة بقوتها .. والمقتدرة بأمكاناتها المتطورة جداً .. سوف تجعل

(الزور مرق ، والبردي ملاعق) ، وقد اثبتتت الايام والشهور والسنون التوالي صحة نظرية هؤلاء الآثمين .. عندما اصبح العراقيون المناكيد مرقاً قانياً .. فيما تحول الاخرون – من محتلين الى صهاينة الى عجم الى اعراب الى اتراب .. وغيرهم كثير – تحول هؤلاء جميعاً الى ملاعق مسنونة تنهش بأجسادنا السائلة .. وبعد ان مزقوها كل ممزق

.. حتى صارت اشلاءً مائعة .. صاروا الى العظام يقــضمون بها . في عملية ابادة رهيبة . ما اشبه اليوم بالبارحة .. وما اشبه ((العراقيين بالهنود الحمر)) ، فناء عقلــي واخــصاء فكري .. وخراب نفسي .. يدع قابيل يقتل اخاه هابيل ، لكــن تريثوا قليلاً ايها السادة لان هابيل اليوم ليس بريئاً كما كـــان بالامس الغابر .. والسبب الذي اقتتلا قديماً لاجله ليس حاضراً في قتالهما اليوم ، والقرابين المقربة المتقبلة وغير المتقبلـــة ليست اكباشاً او معزى ولا حتى اثواراً او افراســـاً والمــسألة ليست ارشادية او اختباراً لايمانهما فأن خلصت النية وصــح الايمان .. نزلت المعجزة : ((ففديناه بكبش عظــيم)) .. لان النوايا اضغاث والايمان مدخول .. والمعجزة والغيب كأقــانيم طهرانية قد طلقا ارض السواد ثلاثاً منذ ان دنــسها الاحــتلال والاصح منذ صار ((السواد بــستان قــريش)) .. وبــستان الصفويين وبستان العثمانيين وبستان الانكليز واليوم بــستاناً للامريكيين والتكفيريين والمليشيات وفرق الاجرام وبين اولئك وهؤلاء هو دائماً بستان للحكام المتجبــرين والظلمــة . وقــد توافق هؤلاء جميعاً عليه رغم تناقضاتهم كما وافق شن طبقة ، اما السواديون ففي كل مرة لايرضى الاخر منهم الابالقرابين

البشرية – اطفال رضع ونساء حوامل وشيوخ متهدمة الحواس وشباب ورجال ... الخ .

وهذا التكالب الذي يشبه تكالب الدبى .. ليس لان هذا البستان دائم الاخضرار ، موفور الثمار ، كثير المعادن وكريم الاحجار فحسب بل لانه صانع الاقمار .. من فلاسفة وعلماء .. حتى جرت خيلة في السماء .. تهمي على الدنيا حضارة وكبرياء .. فما قامت للعرب والمسلمين حضارة الا من قطاف هذا البستان .. ومن قبل كان مهداً للحضارات القديمة في سومر وبابل واشور .. حتى الحضارة الحديثة ، كم اترعت من نمير عينه القريرة .. فما بال هؤلاء جميعاً لايدعون العراق وشأنه ؟ فقد اخذوه جديداً .. ولم يتركوه خَلِقاً .. وقد يحتج علينا الاخرون بأنهم لو تركونا لأ ستحضرنا من فورنا داحس والغبراء ، السقيفة ويوم الدار ، صفين والنهروان ، هذا في الماضي التليد ، اما في العصر الحديث فنستحضر العهد الملكي و 14 تموز و 17 تموز و 2003/4/9 فيشتد الاختلاف ماضياً وحاضراً .. ولو اقتصر الخلاف على الحوار ووجهات النظر لهان الامر لكننا نحول الاختلاف الى جلاد والجلاد الى قتال والقتال الى تقسيم البلد وتطهير الاقاليم عرقياً وطائفياً وسياسياً .. والنتيجة .. احتراق البستان وفناء الانسان . و ((

الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجليل)) .
كما قال الامام علي بن ابي طالب (ع) .

الفصل السادس عشر

صناعة الجوع

تعودنا ان نسمع شعارات مثل(ليس بالخبز وحده يحيا الانسان) .. واذا صح هذا الشعار فأن الاصح منه القول (بغير الخبز لا يحيا الانسان) .. ذلك ان الجوع كان دوماً قاسماً مشتركاً بين شعوب الارض قاطبة في فترة من الفترات كما يحدثنا التاريخ ، وان لغز الهيمنة يمكن ان ينسب الى الخبز حيث الذي يتحكم بخبزك هو بالضرورة من يتحكم بعقلك وحياتك واقتصادك ووطنك .. وان قوى الاستقطاب الدولي هي التي تملك وتعيش شعوبها على حساب الغير أما العالم الثالث فهو العالم الذي لايملك وإن ((ملك)) ويعيش ضحية إستغلال العالم المتفرعن .. والأمر يتجاوز التصنيف الدولي للعالم المتخم والعالم الجائع الى تصنيف الدول الوطنية ذاتها التي تنشطر على نفسها الى أقلية متخمة تمثل السلطة والطبقات المستغلة التي يصاب معظم أفرادها بالعلل المترتبة على الإفراط في الغذاء ، وأكثرية تمثل جماهير الشعب التي تتضور

جوعاً ويتعرض أطفالها فضلاً عن كبارها لأبشع أمراض سوء التغذية المفضية أحياناً الى الموت . بل تستخدم السلطات الغذاء كسلاح سياسي وإخضاعي لتذويب مقاومة الشعوب الفقيرة وإذلالها . كما حصل في العراق أبان فترة الحصار الإقتصادي الظالم الذي أنهك العراقيين وجعلهم فريسة سهلة للإحتلال الأمريكي البغيض .والأنكى من كل ذلك أن الكثير من هذه الشعوب الجائعة والتي تتعرض أعداد كبيرة من مجتمعاتها الى الأمراض والذل والموت فقراً وبؤساً تترك مساحات شاسعة من أراضيها الخصبة بلا زراعة ناهيك ما تتعرض له مليارات الدولارات من مواردها من المواد الأولية لصالح فئة قليلة شديدة الجشع الى البذخ العسكري الفضفاض والى مشاريع السمعة الفارغة .. بينما البطون الخاوية لغالبية الشعب تبقى لاتقتات الا على بعض الفتات الذي لايغني ولا يسمن من جوع.

إن مأساة الجوع لاتكمن في الألام التي سرعان ما تزول مع اللقيمات الأولى ولا في عذاباته النفسية والجسدية .. بل تلك المأساة تكمن في آثاره الكارثية .. لأن صناعة الجوع تؤدي بالحتم الى صناعة الفقر والجهل والتخلف والتبعية والعبودية .

وهكذا نرى بأن أمريكا بصفتها أعظم دولة تتحكم في الغذاء العالمي فإنها تستخدمه كسلاح سياسي للهيمنة على العالم ولاسيما دول الشرق الأوسط ورغم أن هذه الدول تعد غنية بسبب حيضها النفطي إلا أن أحدا لاينكر ما يعانيه الملايين من شعوبها من أخطارالجوع والفقر ، وقد تقاسمت أمريكا لعب الأدوار مع أنظمة الحكم في هذه الدولة لإدامة إزدهار صناعة الجوع ، لأن للطرفين مصلحة حقيقية لبقاء الجوع كمعطى للإخضاع والإذلال والإستسلام.

وفي العراق .. عانى الشعب الأمرين من صناعة الجوع رغم أنه بلد الثروات والنفط .. فقد عانى من ذلك في ظل الدكتاتورية ولاسيما في فترة الحصار الإقتصادي .. ثم أعقبه جوع أكبر في ظل الإحتلال .. ومن غرائب الأمور وعجائبها أن أقل من ملياري دولار كانت تكفي لسد الحد الأدنى للحاجات الغذائية للعراقيين في ظل برنامج النفط مقابل الغذاء .. بينما الآن وفي ظل ميزانية تجاوزت الخمسين ملياراً منها سبعة مليارات للحد الأدنى للغذاء .. تنفق هذه المليارات السبعة ويطلب من البرلمان مبالغ أخرى تكميلية لكن لم يصل الى المواطن من موادها الغذائية إلا كل مبتسر وضئيل أما القطاع الزراعي العراقي .. فقد يفارق الحياة في أي لحظة بسبب

الجفاف والسياسات الزراعية والمائية الرعناء . بل ان الأمر وصل الى حد عدم توفير مياه الشرب للمواطنين سواء أكانت صالحة أم غير صالحة .. إن المسؤول الأول عن كل هذه المآسي هي السياسة .. لأن السياسة لو صلحت لصلحت البلاد وإستقامت العباد .. ولكنها عندما تفسد فلاشك ستخرب معها البلاد وتنهار اخلاق الناس وسيستشري الفقر ويعم الشعب بنفس سرعة ظهور الأغنياء والمتطفلين

الفصل السابع عشر
الدولة العراقية .. والرؤية الامريكية

يمكن القول أن القوى الفاعلة في الساحة العراقية هـــي قوات الإحتلال الأجنبي بقيادة الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة ، والحكومة التي تتكون من الأحزاب السياسية المعارضة لنظام صدام ثم تولت السلطة بعد ســقوطه .. ، والمليــشيات التـــي تشكل الأجنحة العسكرية لتلك الاحزاب التي تقود السلطة اليوم ، وتنظيم القاعدة الذي يقود العمليـــات الإرهابيـــة مـــن قتـــل وترويع وتهجير قسري وتدمير البنية التحتية والخدمية للدولة وتتبنى القاعدة الفكر التكفيري والذي من أولى مهامـــه قتـــل الشيعة بإعتبارهم كفاراً ثـــم الأكـــراد بإعتبـــارهم علمـــانيين متصهينين ثم السنة المساهمين في العملية السياسية بصفتهم عملاء مرتدين .. هذه هي تقسيمات القاعدة في تراتبية القتـــل لأبناء الشعب العراقي .. ، أما المقاومة فإن المفكر العراقـــي السيد أياد جمال الدين يقول : مافي مقاومة وإنما فـــي حـــزب البعث بكل تمظهراته ، الجيش ، المخابرات ، الأجهزة الأمنيـــة

، فدائيو صدام .. الخ .. وهؤلاء يشكلون ما يقارب النصف مليون مقاتل مهني من الدرجة الأولى !! .

طبعاً اضعف هذه القوى على الإطلاق هي الحكومة .. لأن الأجهزة الأمنية والعسكرية التابعة لها تفتقر الى السلاح الفاعل والتدريب الحاسم والمعلومات الإستخبارية والقيادة المركزية الواحدة . فلمواجهة الإرهاب لتحقيق أية ضربة إستباقية له .. لابد من وجود جهاز لجمع المعلومات وتحليلها وإستثمارها .. لا أن تكون الضربات مجرد ردود أفعال بائسة لعدم وجود هكذا جهاز .. لأننا لو إكتفينا بجيش مسلح صغير فإننا بلا شك سوف نحتاج لإنجاز مهامه الى جيش كبير من العيون والآذان . إن ضعف الحكومة هذا يؤشر قوة المليشيات الباطشة .. وإن هناك حيلولة دون تنامي قوة الحكومة .. قد يكون للمليشيات ضلع كبير فيها ، والمفارقة أن الأحزاب الحاكمة تمارس دور السلطة والمعارضة معاً .. فالجناح السياسي في السلطة والجناح العسكري ((المليشيات في المعارضة)) .. وهذه هي طبيعة الفكر الديني لا يرضى من الآخر إلا أن يماهيه .. ، ومن المؤكد فإن الدعوة لحل المليشيات باتت ضرورة ملحة .. لأنه بغض النظر عن الحكم التقييمي لهذه المليشيات فطالما أن الدولة واحدة فإن الجيش

والأجهزة الأمنية يجب أن يكون واحداً ويأتمر بأمر قائد واحد ، وان السلاح يجب ان يحتكر بيد الدولة فقط .. وإن الولاء يجب أن يكون للوطن والدولة .. لا لهذا الزعيم أو ذاك .. ولا لهذه الطائفة أو تلك ولا لهذه الحزب أو ذاك ..

لقد بات واضحاً أن الأمور ما كان لتصل الى ما وصلت اليه لولا الخلفية التي أستند إليها التغيير :-١ – الرؤية الأمريكية .. كانت وجهة نظر الخارجية الأمريكية إبقاء مؤسسات الدولة العراقية وتغيير القشرة فقط . بينما وجهة نظر البنتاغون هي التغيير الجذري وتفكيك الدولة العراقية والتي طبقت بعد السقوط وأدت الى الكارثة القائمة . وقد اعترفت الادارة الامريكية باخطائها القاتلة .

٢ – رؤية المعارضة التي جاءت مع الإحتلال كانت مطابقة لرؤية البنتاغون .. بالإضافة الى توجهاتها الطائفية والاقصائية وعدم إمتلاكها لأي مشروع للدولة المستقبلية وبالتالي راحت تتخبط برفع شعارات دينية ذات فائدة آنية كما في الإنتخابات لكنها ذات نتائج كارثية كما يحصل اليوم .

أما الحل المطلوب .. فهو تصحيح ما يمكن تصحيحه من الأخطاء الشنيعة المرتكبة هذا أولاً وثانياً ولابد من إعلان برنامج لفصل الدين عن السياسة والمناداة بدولة علمانية ..

أما إذا بقيت العملية السياسية على اساس هذه الأســـس مـــن محاصصة طائفية وعرقية وتطهير للأخر السياسي .. فإننا بدل السير نحو المصالحة سوف نسير نحو حرب أهلية لا محالـــة !!!

الفصل الثامن عشر
القاعدة في ظل الاحتلال

اليوم ونحن إذ ننفض التراب من رؤوسنا بعد أن خرجنا من رموس ما يسمى زوراً وبهتاناً ((بدولة العراق الإسلامية)) التي أناخت جاثمة على صدورنا في ديالى منذ ما ينوف على السنة من الزمن .. وهي تقتل وتهجر وتبطش من خلال محاكم تفتيشها على الهوية وعلى عدم التابعية وعدم التأييد بل تقتل وتسبي النساء والأطفال لتعيد للعصور المظلمة حياتها إذا لم نقل فاقتها بشاعةً وإنحطاطاً !! .. نعم بعد أن طمرنا طيلة هذه السنة في جحور دامسة حيث هجرنا العقل والنقل .. وصددنا عن الفكر والمحاورة وإنقبضت نفوسنا عن الزاد والماء وعجزنا عن الشوق والباءة ورحنا كما الضب نبحث في مواخير التكفير والجاهلية عن ملجأ ليس إلا ليكفينا غائلة السيف والنطع .. واليوم إذ نخرج من لحود الرعب والخوف .. فإننا لم نستطع بعد إزاحة البثور المتقيحة التي تطبق على جفوننا .. وتمنعها من التطلع الى الشمس . كان يحدونا الأمل أن نخرج مهرولين بإتجاه الشمس كما الأطفال لنسبق ظلّنا !!

فإذا بظلّنا يسبقنا الآن كما سبقنا في الماضي وسيسبقنا في المستقبل – لعلها من سنن التاريخ الحتمية على هذه الأمة المنكوبة – دخلنا في إستيهامات دولة الفكر العضوض والإحتلال قابض على بلادنا .. والعملية السياسية مبتلاة بأساس غير قويم بني على المحاصصة الطائفية وتهميش الآخر والإستئثار بالسلطة والمال ومجلس النواب لايرد ولايصدر إلا مع وقف التنفيذ .. والحرب الأهلية عبارة عن قتل وتهجير بين الشيعة والسنة ودول الجوار أقل إفصاحاً عن تدخلها في شؤون العراق .. وخرجنا من تلك الدولة النكراء فإذا الإحتلال أشد وطأة وأكثر قبيلا ، والعملية السياسية سادرة في غلواء المنهج المعوج مع تآكلها وتفكك أطرافها وتراشق بعضهم بالبعض الآخر بأنواع التهم وأقسى الجرائم ، أما مجلس النواب فراغ الى إمتيازات أعضائه يروم تقنينها بين إمتيازات وزير الى إمتيازات رئيس وزراء ولتذهب أفواه الشعب الى الحصرم فداءاً لأفواه هؤلاء الأعضاء التي لايليق بها إلا التبر !!! . أما العنف الداخلي فتحول من حرب بين الشيعة والسنة كما صنعها السياسيون الى ذبح وتهجير بين السنة والسنة .. وبين الشيعة والشيعة كما يفعل السياسيون أيضاً .. فإذا إحترق وسط العراق فلماذا لايحترق جنوبه ؟ .

أما الإحتراق الأكبر فإنه ربما آت على خلفية قـضية كركـوك أظن أن بعض السياسيين لوح بحرب ضـروس لأن كركـوك عفواً – نفط كركوك – يستأهل ان تشاطره أنابيب من الـدماء الغزيرة ! .. لأن إقتصاد العراق لابد له مـن أن يخـرج مـن شرنقة ((إقتصاد أحادي الجانب)) .. ليكـون الـنفط والـدم سلعتي العراق التي يتمتع بفوائدهما الجميـع سـوى الـشعب العراقي المظلوم . أما دول الجوار فأصبحت بدون حياء تتحدث عن مستقبل العراق وكأنه ضيعة تابعة لها بل هـي مـستعدة لإشغال الفراغ الأمني الذي سوف يتركه الإنسحاب الأمريكـي من العراق والمصيبة الأعظـم أن رؤوس الـسلطة العراقيـة لاتنبس ببنت شفة عن هؤلاء الذين يتاجرون بمأساة العراق . نعم خرجنا من كابوس الجمود بعيون كليلة وكابية لكـن ثمـة بصيرة لاتزال ذبالتها تنمو في جوانحنا .. نعم خرجنا بعـد أن تركنا الكتابة والمطالعة والتفكير طيلة هذه المدة .. لكننا اليوم بحمد الله الى القلم أقرب وبالقرطاس ألصق ولانملك الا الفكرة نجول بها والكلمة نقاتل من خلالها .. لذلك عدنا الـى القلـم والكلمة والفكرة بعد غياب والأصح بعد تغييب سنة كاملـة !! والعود كما يقولون أحمد .

الفصل التاسع عشر
امريكا وعودة الجن

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية تبسط نفوذها على العراق ولاسيما عاصمته بغداد التي كانت مركزاً تجارياً يجتذب التجار واصحاب الحرف .. وكبار الموظفين والاثرياء الذين يقطنون دوراً بنيت من الآجر لا تخلو من زخرفة وبعض الفخامة هذا في وسط المدينة .. ومن جهة ثانية فأن اطراف المدينة تتكون من محلات مبنية من الطين او الصرائف يسكنها الفقراء والكادحون .. وتتميز هذه الاطراف بقذارة ازقتها وضيقها فضلاً عن هيمنة العصبية القبلية والاجتماعية المتخلفة على قيم قاطنيها .

كما ان في هذه الفترة فأن بغداد تكاد تخلو من اي شارع معبد حتى عهد مدحت باشا عام 1870 م الذي امر بتعبيد زقاق قصير يقع على راس الجسر في جانب الرصافة .. وفي عام 1910 سعى الوالي ناظم باشا الى فتح اول شارع في بغداد ، هو شارع ((النهر)) .. ولم تكن هذه الشوارع وكل

ازقة بغداد مضاءة حتى شرعت الدولة بأضاءتها منذ عام 1879 بواسطة المصابيح النفطية .. لكن تبقى تلك الاضاءة خافتة وواهنة تستسلم للظلام الدامس الذي يعتبر حاضنة لتفريخ الجن .. فكان الظلام واولاده من الجن مبعث رهبة وخوف عظيمين في قلوب البغداديين .. بالاضافة الى خطر الجن ليلاً كان هناك خطر القبائل نهاراً التي تغير على قوافل التجارة البغدادية وتنهبها .. وعندما يلجأ الناس الى الحكومة لحمايتهم من خطري الجن والقبائل .. فان الحكومة لضعفها لاتكاد تفعل شيئاً ينفع المواطن او بدقة اكثر ان الحكومات كانت غير مكترثة بالشعب قدر اهتمام اعضائها بمنافعهم وامتيازاتهم الشخصية .. فيضطر الاهالي الى دفع الاتاوة لمن ينجدهم من الخطر المحدق .. فكانت احدى القبائل تمتهن تسيير القوافل وحمايتها مقابل المال المدفوع لها .. لكن هذه القبيلة ليس من النادر ان تقوم بدور الحامي والحرامي معاً على حد وصف د . علي الوردي .. اذ قد تحمي قوافل بغداد .. لكنها لاتتردد عن نهب بغداد عندما تحين الفرصة المناسبة .. وهي قد تتعاون مع الحكومة ضد معارضيها .. وفي احيان اخرى تراها تقاتل الحكومة عندما تقتضي مصلحتها ذلك ! . وفي العراق الجديد وبعد الاحتلال الامريكي فإن من بركات

السياسة الامريكية في العراق أن ضاقت ازقة بغداد واضمحلت شوارعها .. فقد حشيت بالــصبات الكونكريتيــة .. وامــتلأت بالآليات المدججة .. واختفت الاضاءة وتوارت الانوار بعــدما اخرجوا شهادة وفاة للكهرباء الوطنية .. فعادت الجن تجــوب شوارع بغداد وهي تزرع الارهاب والرعب والخوف وتنهيهــا بالذبح والخطف والنهب .. وصارت المليشيات قبائل طائفيــة تقوم بدور الحامي والحرامي تفرض اجندتها على الناس الذين ربما استغاثوا بها عندما وجدواالدولة ضعيفة غير قادرة على حمايتهم وصارت تلك المليشيات يوماً مع الدولة وعشراً ضدها وأظن ان الامريكان من انصار نظرية ((التاريخ يعيد نفسه)) .. وما اشبه اليوم بالبارحة .

الفصل العشرون

أمريكا وفصام السياسة في العراق

سبق وأن ذكرنا في مقال سابق أن العمليـــة الـــسياسية القائمة في العراق والتي هي صناعة أمريكية بإمتياز لا يمكنها إلا إنتاج الأزمات وتفريخ المشكلات لأنها مصابة بعاهة بنيوية مستديمة .. لاتجدي معهـــا كـــل أدواء النطاســـين وتعاويـــذ الروحانين ، والأنكى من ذلك كله ما يعتور الـــسياسية ســـواء أكانت أترفتها العملية السياسية وأوترتها ، من إنفصام كـــآبي في الوعي بأشكاله السياسية والإجتماعية والإقتصادية والدينية ... الخ الى درجة بات ما يأتيه هؤلاء الساسة مـــن أخطـــاء شنيعة لم يعد يثير العجب .. بل ربما دهش المواطن عجباً فيما لو أتى الساسة بأمر سليم يخدم الوطن والمـــواطن .. لـــذلك يصدق على هؤلاء الساسة قول الشاعر :

تعجبين من سقمي صـــحتي هـــي العجب!!!

فهذا الفصام في الوعي ناجم عن التكوين الآيديولوجي والبيئي والتاريخي لهؤلاء الساسة .. إنتهى بهم هذا التكوين الى وعي مبنٍ على تطلع فئوي مصلحي لايردعه رادع من مبادئ وقـــيم

وأخلاق وقانون إلا إذا كان مقترناً بالقوة .. فهؤلاء الــساسة كلهم توافقوا على منهج الطائفية لسيرورة عمليتهم السياسية لكنهم كلهم بدون إستثناء يوجهون أقسى النقودات لهذا المنهج .. إذ في الوقت الذي تسلقوا أغصان الطائفية وأستتووا علــى أكتافها وذاقوا عسيلتها وتنعموا ببركاتها .. راحــوا يرمونهــا بنوى بلحها وينسبون اليها كل العهــر الــسياسي الــذي لازم مسيرتهم ولو إقتصر الأمر على ما ذكرنا على بشاعته لهــان الأمر ولكن ماوقع من تنكيل وبطش وقتل وتهجير للمواطنين الأبرياء من قبل حركات إرهابية وميليشياوية وسياسية متنفذة في ظل إحتلال شرس ساهم في كل هذه الإشكالة :- أفضى كل ذلك الى سحب هذه المهام وإيكالها الى العوام التي لا تمتلــك عادة القدرة على تحليل المسائل الفكرية والتاريخية والعقائدية بعمق ودراية ، ومن دون أن يدرك هؤلاء الجهال بــأن هــذا القتيل المواطن الكاسب والمعلم والشرطي والفلاح لم يحــضر قط أحداث السقيفة ولا كان في عداد جيش الحسين الثائر على يزيد الأموي .. ((هذا الجهل والتعصب الطائفي كانت القــوى السياسية والدينية تستثمره فــي تحقيــق أهــدافها وتمريــر مخططاتها وذلك عن طريق سحب الاختلاف العقائدي من دائرة أهل الخبرة والتخصص الى دائرة العوام ليتحول مــن خــلاف

فكري الى خصومة وإختلاف واقتتال بين السنة والشيعة)) ..
وبذلك صار الساسة المتنفذون نمطاً سوقياً يتجلبب بزي الدين
ويدعي الورع والتقوى ليقرر الإعتياش على الدين في الوقت
الذي تجري فيه سيول الفساد الإداري من تحـــت أديـــارهم .
وهكذا فإن ظاهرة الإعتياش السياسي ذي اللبوس الديني التي
تستهدف السلطو الثروة والنفوذ أنما تتم على حساب الدولـــة
والمجتمع من خلال تشغيل وتفعيل الهويات الفرعية في مجال
الدولة كجماعة سياسية .. فيما كان مجال إشتغالها إنما هـــو
المجتمع كجماعة إنسانية ليس إلا . أما تمنيات هؤلاء الساسة
بالتخلص من الطائفية فأمر ليس له مقيل من الصحة في أرض
الواقع .. ذلك إن موت الطائفي يقتضي موت الطائفين ..وهو
أمر دونه محق شعب بأكمله .. لأن لسان حال هؤلاء يقول :

تمنى رجال أن أموت وأن أمت   فتلك سبيل لست فيها بأوحد

الخاتمة

مراحل السياسة الأمريكية في العراق

لم يكن قرار الكونغرس الأمريكي الداعي الــى تقــسيم العراق الى ثلاث ولايات إثنية عرقيــة وطائفيــة بــدعاً فــي السياسة الأمريكية التي يقودها الإحتلال في العراق وهي جزء من إعادة تشكيل العراق والمنطقة برمتهــا ونمــذجتها وفــق الرؤية الغربية / الصهيونية خدمة للمشروع الأمريكي ســيء الصيت ((الشرق الأوسط الكبير)) والذي يرمي الــى ادمــاج دويلة اسرائيل في المنطقة ليس بــصفتها احــدى دول هــذه المنطقة فحسب بل بإعتبارها الدولة الأكثر تقــدماً تكنولوجيــاً والأبهى ديمقراطياً وبالتالي يتم توظيف الأموال النفطية الهائلة للمنطقة من خلال العقل الإسرائيلي الذي يبزّ عقــول العــرب والمسلمين في تطوره العلمي والإجتماعي كما ترى الفلــسفة الغربية ذلك !! وعندما تأتي الثمار أكلها سيقطف الغرب ومعه اسرائيل كل نضيج من تلك الكروم ولا يبقى للعرب والمسلمين سوى الحصرم الممجوج ! .

لقد مرت السياسة الأمريكية في العـــراق منـــذ إحتلالــــه بمراحل مهمة مهدت بلاشك للهدف الأساسي والذي أفصح عنه الكونغرس الأمريكي بقراره غير الملزم ((إقــرأ وإضـــحك)) الداعي الى تقسيم العراق الـــى دويـــلات فدراليـــة متنـــاحرة ومتصارعة بسبب ما قام به الإحتلال من شحنٍ للعداء العرقـــي والطائفي فضلاً عن إثارة الصراع على تقاسم الثروات والنفوذ السياسي وبالتالي سوف يبقى العراق وفق هذه الرؤية والـــى أبد الآبدين مأزوماً وغير مستقر وهو ما تسعى اليه الـــسياسة الإسرائيلية وتتمناه لدول المنطقة جميعاً .. لتبقى هي الوحيدة من بين تلك الدول الأقوى والسيد المتحكم .. حيث بدأت أولى مراحل السياسة الأمريكية بإسقاط النظام السابق .. ومن الحق القول ان اسقاط نظام دكتاتوري وشمولي سيحظى بقبول كبير ويعدّ فرجا بعد كرب شديد من قبل شـــعب مظلـــوم ومحـــروم كالشعب العراقي .. ولكن ان تتم عملية التغيير مـــن الخـــارج وبأيدي المحتل مهما كان المبرر مسوغاً .. فإن الثمن الـــذي سيدفعه الشعب العراقي لاحقاً سيكون باهضاً ولـــم يتوقعـــه الا القليل .. ولكن لات حين مندم .

وهكذا جاءت المرحلة الثانية من الـــسياسة الأمريكيـــة والتي قصمت ظهر العراق ولعشرات الـــسنين القادمـــة .. ألا

وهي حل الدولة وتفكيك مؤسساتها العسكرية والأمنية والإدارية من خلال قرارات بريمر الإرهابية من حل للجيش العراقي وقرارات الإجتثاث وحل كيانات الدولة الأخرى فأصبح العراق شعباً بلا دولة ولا مؤسسات ولا جيش ولا أمن ولا إدارة .. وكل البدائل والحلول التي وضعت خلال السنوات الخمس الماضية لم تستطع أن تنهض بمهام الدولة السابقة ولو بالحد الأدنى منها .. لذلك غدا العراق بلداً مباحاً لكل من هب ودب من إرهاب ومليشيات ومجاميع إجرامية وأجندات دولية وإقليمية ومحلية حتى سقط في جب الإحتراب الداخلي الدموي .

ثم تلت ذلك وزامنته المرحلة الثالثة من السياسة الأمريكية . وهي مرحلة ((حل الشعب العراقي)) الى طوائف وأعراق متنابذة متصارعة على النفوذ والسلطة .. وكان الإعلان الرسمي لتمزيق الشعب العراقي الى شيعة وسنة وأكراد من خلال تشكيل مجلس الحكم الذي بني على هذه الأسس الإثنية والطائفية .. والذي أفصح عن منهج المحاصصة الطائفية للعملية السياسية التي صنعت لتكون عملية منتجة للأزمات ومفرخة للتناحرات والتي أفضت الى حرب طائفية خدمة للهدف الأكبر وهو تقسيم العراق .. ثم جاءت المرحلة الرابعة

وهي ((حل المكون الواحد)) .. فكانت النتيجة : الإقتتال السني السني ، والإقتتال الشيعي الشيعي ، أما الإقتتال الكردي / الكردي .. فقد حصل سابقاً وهو كامن في الحاضر فما يمنع السياسة الأمريكية من إظهاره عند الضرورة ؟! فهل لأي كان أن يشك في أن السياسة الأمريكية ستؤدي لامحال الى تقسيم العراق .. أما محاولات ما عرف بالمصالحة الوطنية والخطط الأمنية .. فإنها أشبه بذر الرماد بالعيون .. لأن ما أوصلوا العراق اليه من دواهي وكوارث لا يمكن انتشاله منها بالسياسات الترقيعية والخطوات الإنتقائية تنفذها عملية سياسية تعاني من خلل بنيوي لاينتج الا الأزمات ولا يأتي الا بالمشكلات .. فمتى يتنبه الساسة في العراق ومعهم العرب والمسلمون ان التقسيم آت .. لأن القرارات الأمريكية واقع حال سواء أكانت ملزمة أم غير ملزمة : وقد صدق الشاعر حيث قال : ((تنبهوا وأستفيقوا أيها العرب .. فقد طغى الخطب حتى غاصت الركب)) .

الفهرست

السيرة الذاتية :

الكاتب : ضمد كاظم وسمي

* مواليد / ديالى / العراق

* بكالوريوس اقتصاد

* يعمل في سلك التربية والتعليم

* عضو الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق

*أديب .. يكتب في الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية العراقية والعربية .

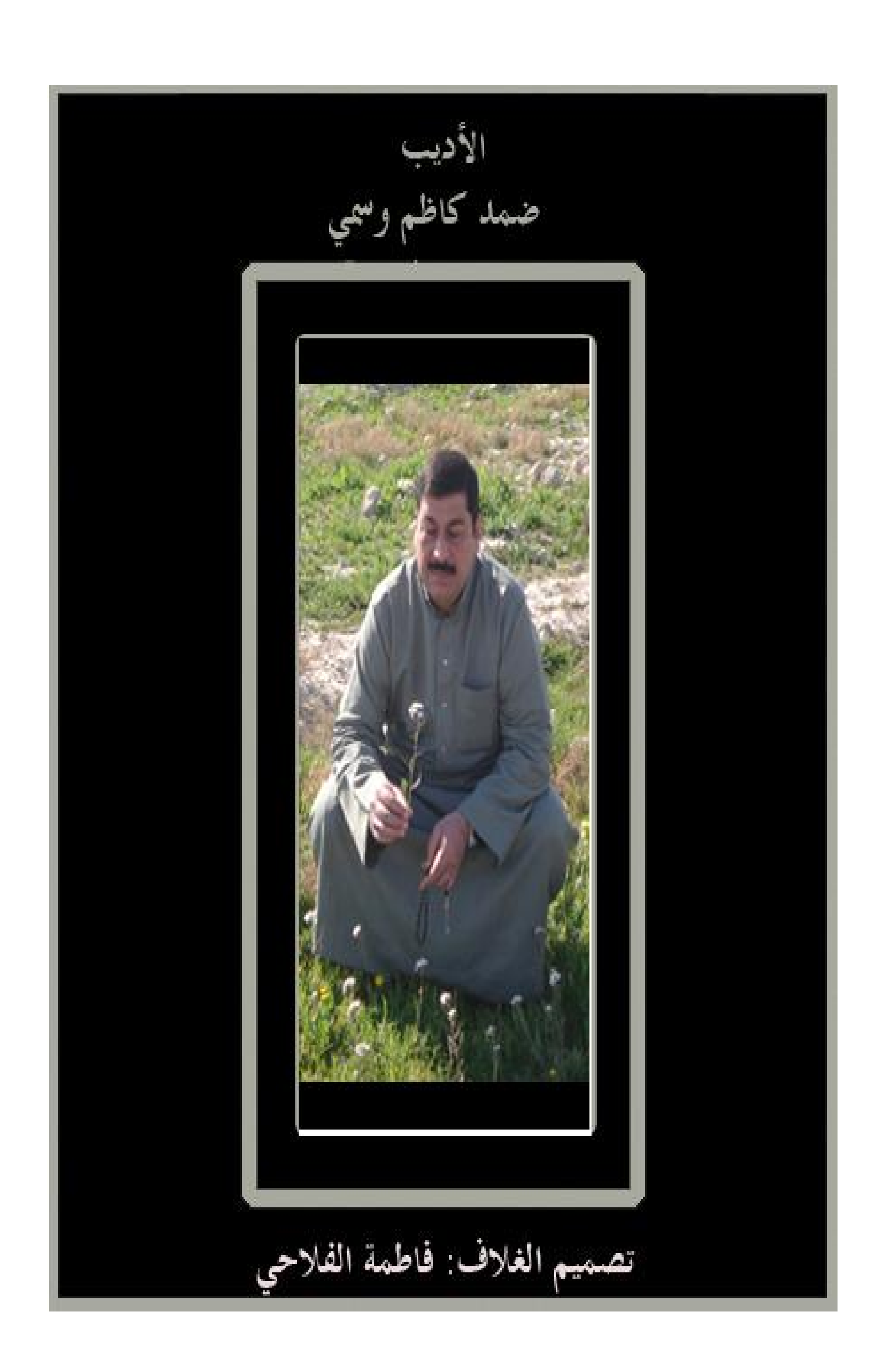
* مؤلفات

1- كتاب أسرار المواهب / دراسات في النقد الادبي ، إصدار عن منتديات ليل الغربة ، شباط 2009.

2- كتاب الفكر العربي .. وتحديات الحداثة ، إصدار عن منتديات ليل الغربة ، آذار 2009.

3- كتاب النهضة الاوربية .. وقضية الحرية ،إصدار عن منتديات ليل الغربة ، نيسان 2009.

4- كتاب عالم مشمش – مجموعة قصصية ، إصدار عن منتديات ليل الغربة ، أيار 2009.


الأديب
ضمد كاظم وسمي
تصميم الغلاف: فاطمة الفلاحي